الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة–

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

التعريض في الشعر العربي
مقاربة تداولية

مُذَكِرَة مُقَدَّمَة لِنَيْل شَهَادَة الماسترفِي الآداب واللُّغَة العَرَبِيَّة
تَخَصُّصْ:علوم اللسان

إعداد الطالب:
بشير تومي

إشراف الدكتور:
صلاح الدين ملاوي

السنة الجامعية:
1436-1437هـ
2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ
عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ
وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾

(سورة التوبة 105)

مُقَدَّمَة

يقوم نجاح العملية التواصلية على مدى التفاعل بين أطراف الخطاب، ولا يتم التفاعل بشكل صحيح وناجح إلاّ إذا توفّرت لذلك شروط، منها ما يتعلق بالمتكلّم ومنها ما يتعلق بالمتلقّي، ومنها ما يتعلق بالخطاب، فالمتكلّم بوصفه مُنتجًا للخطاب يجب أن يكون على دراية بمن يوجّه إليه خطابه، ومدى قدرته على فهم المقاصد والغايات، والوصول إلى المعاني والدّلالات، مع ضرورة مراعاة المقام والسياقات المحيطية ومدى علاقاتها بالخطاب، فعلى هذا الأساس يختار اللّغة المناسبة لإنجاح عملية التواصل.

لأجل ذلك اهتمت الدراسات البلاغية والتداولية بالدائرة التواصلية، وأولت عناصرها أهمية كبيرة، متجاوزة بذلك المعاني المقالية إلى المعاني المقامية، ولعل أسلوب التعريض قاسم مشترك بين البلاغيين والتداوليين، فهو من الأساليب التي دَرَجَتِ العرب على استعمالها، لِمَا لَهُ من خَفَاء يؤثّر في النفوس، لا يبلُغُه التصريح لأنّه يُعينُ صاحبه على إخفاء مراده من عتاب أو نقد أو شكاية على الحاضرين، ولا يفهم غايته إلاّ المقصود بالتعريض، فهو لا يُفْهَمُ من اللّفظ إنّما من أشياء وأحوال خارجة عن الملفوظ.

ومن المعروف أنّ الدراسات التداولية الحديثة اهتمت لاستراتيجيات التلميحية، والمعاني غير المباشرة، ومتضمّنات الأقوال، إلى جانب المقصدية والسياقات الخارجية وما لها من دور في فهم المعاني والدّلالات.

وانطلاقا من العلاقة بين الدراسات التّداولية الحديثة وبين أسلوب التعريض كان اختيارنا لهذا الموضوع الذي عَنْوَنَّاهُ بـ " التعريض في الشعر العربي مقاربة تداولية" وكان هدفنا منه الوصول إلى كيفية توظيف الآليات التداولية الحديثة للوصول إلى فهم الدلالات التعريضية من خلال بعض النّماذج من الشعر العربي.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو عن كيفية استخدام هذه الآليات والعناصر التداولية في مقاربة الخطابات الشعرية التعريضية، وهل نستطيع من خلال توظيف هذه الآليات الوصول إلى الدلالات التي تتنوّع وتتعدّد بتنوّع وتعدد الأساليب التعريضية

وقد ارتأينا أن تكون هيكلة هذا البحث مبنية على:

- مقدمة

- الفصل الأول: التعريض وعلاقاته بالدراسات التداولية

- الفصل الثاني: مقاربة تداولية لأسلوب التعريض من خلال نماذج شعرية.

قَسَّمنا الفصل الأول إلى قسمين، الأوّل: مفهوم التعريض، حاولنا فيه رصد آراء وتعريفات البلاغيين القدامى لهذا الأسلوب، الثاني: علاقة التعريض بالدراسات التداولية. وذكرنا فيه بعض النّقاط التي يلتقي فيها التعريض بالدراسات التداولية.

أما الفصل الثاني فقسّمناه إلى قسمين، الأول: نماذج من شعر الهجاء والمدح، والثاني: نماذج تعريضية لأغراض متنوّعة.

وقد تَوَسَّلْنَا في بحثنا بالمنهجين الوصفي والتحليلي، ولأن طبيعة هذا البحث في جانبه النّظري تستدعي الوصف لهذا الأسلوب من خلال التعريفات والشواهد والمميّزات التي يتجلّى بها مفهومه.

واستخدام المنهج التحليلي يتجلّى في كيفية توظيف الآليات والعناصر التداولية في هذه المقاربة لأسلوب التعريض.

واعتمدنا على مصادر ومراجع عدة نذكر منها: عيون الخيار لابن قتيبة، والبيان والتبيين للجاحظ، وكتاب آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة، وكتاب استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري.

وتكمن صعوبة هذا البحث في كون التعريض يتعلق بمدوّنة الشعر العربي التي تتطلب من الباحث وقتًا وجهدًا كبيرين للبحث في ثنايا دواوين شعرائها عن أبيات تتعلق بهذا الأسلوب.

ولا يَسَعُنِي في الختام إلا أن أتقدّم بخالص الشُّكر إلى الأستاذ المحترم صلاح الدين ملاوي عرفانًا وامتنانًا لإشرافه على هذا البحث.

والله نسأل أن يوفّقنا لما يحبّ ويرضى من صالح القول والعمل.

الفصل الأول

التعريض و علاقته بالدراسات التداولية

1-مفهوم التعريض

2-علاقة التعريض بالدراسات التداولية

استعملت العرب في كلامها أساليب كثيرة لا يُفهم المعنى فيها من ظاهر اللّفظ، بل لابدَّ من توفُّر عوامل أخرى كالسِّياق، وقرائن الأحوال والمقامات لفهم قصد المتكلِّم. والتعريض من الأساليب المستعملة عندهم لبلوغ إرادتهم، وتحقيق غاياتهم، ومقاصدهم بوجهٍ هو ألطفُ وأحسنُ، بعيداً عن المكاشفة والإفصاح.

والدِّراسات التداولية الحديثة تهتمُّ بالآليات التي تُسهمُ في نجاح العملية التواصلية بين المُرسِل والمرسَل إليه، والتعريض آلية تلميحيَّة لا يرتبطُ فيها اللَّفظ والقصد برابطٍ لغوي، وإنمَّا يُعتمدُ على السِّياق وعناصره التي يوظِّفها المُخاطب لفهم قصد المُخَاطِب.

وسنُحاول من خلال تعريفات أعلام البلاغة العربية القدماء الوصول إلى مفهوم التعريض، ثمَّ نبيِّنُ علاقة هذا الأسلوب البلاغي القديم بالدّراسات التداولية الحديثة.

1-مفهوم التعريض:

لغة: التعريض يأتي ضدَّ التصريح، فقد ورد في القاموس المحيط للفيروز آبادي: «التعريض: خلاف التصريح، وجعْلُ الشَّيْء عريضاً، وأنَّ يصير ذا عارضة في الكلام، وان يثبِّج الكاتبُ ولا يبين»[1].

والتعريض: بمعنى جعْل الشّيء عريضاً، يُقالُ في الحسّيات والأجسام، ويعني تكبيراً في الحجم، وزيادة في الكم. ثمَّ نُقل إلى الكلام إلى توسّع في دلالته فصار له ظاهر وباطن. كما يعني شيئاً من الإخفاء وعدم التبيين.

ومعنى التعريض في الكلام: التوسُّع في الدَّلالة، وبهذا يجتمع في التعريض أمران: الإخفاء والتكثير.

(1)الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ج2، ص 383.

ويظهر معنى السَّعة ظهوراً بيِّناً في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾[1].

فالعرض في الآية يحمل معنىً تجريدياً لا حسياً[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾[3].

فالآية تشير إلى الإخفاء وعدم التصريح، لأنَّ المعتدّة من وفاة يحرم باتفاق الفقهاء والمفسّرين أن يُصرَّح بخطبتها.

والمتأمِّلُ لمشتقات هذه المادة يتعزَّز لديه تفسير التعريض بالإخفاء والتكثير.

قالوا: «العَرضُ –بالتحريك– ما يُعرض للإنسان من مرضٍ ونحْوه، وحطام الدنيا وما كان من مالٍ –قلّ أو كثر– والغنيمة والطَّمع، واسم لما لا دوام له، وأن يصيب الشّيء على غرّه»[4].

فإذا انتقلت هذه المعاني إلى الكلام، تصبح الدَّلالة التعريضية؛ ما يُعرض للألفاظ عروضاً غير لازمٍ،ولا متبادر، وكأنَّ المرء يقعُ على المعنى التعريضي على غير توقُّع[5].

وقالوا: «يمْشي العِرَضْنَةَ، والعِرضْنَى، أي في مشية بغْيٌ من نشاطه»[6]، أي أنَّها مشية فوق المعتادة.

---

(1) فصلت: 51.

(2) ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، دار البصائر، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ-2004م، ص 17.

(3) البقرة : 235.

(4) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 382.

(5) ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، ص 18.

(6) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 382.

وممَّا قالوا: «انظر إليه عِرضْنَةً أي: بمُؤخِّر عينيه»[1].

اصطلاحاً: عرف القدماء التعريض أسلوباً قبل أن يعرفوه مصطلحاً بلاغياً، وبقي مستعملاً بمعناه اللُّغوي العام، ومع تطور الدراسات البلاغية عبر مراحل متعدّدة، بدأت تتجلَّى معالمه، ويتَّضح مصطلحه حتى ضبط مفهومه.

ومن خلال المصادر العربية التي حفظت لنا مدوّنة كلام العرب، نُدرك أنَّ التعريض كان محدّداً عندهم، ومميِّزاً عن الأساليب الأخرى سواءً من جهة الفهم أم من جهة التوظيف، فالقرآن الكريم الذي يعدُّ أول وأوثق مصدرٍ من مصادر العربية، خاطب العرب بلسانهم، أي بأساليب وطرائق أجادوها فهماً وإدراكاً، وكانت مستعملة عندهم، غير غريبة عن لسانهم.

إنَّ أسلوب التعريض ورد في كثيرٍ من آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾[2]. تعريضٌ بالذين لا يستجيبون[3].

وقوله تعالى: ﴿قُل لا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُون ﴿٢٥﴾﴾[4].

في هذه الآية الكريمة يعرِّض بالمخاطَبين، لأنَّ المؤمنين ليس من صفاتهم الإجرام، بل هو صفة للفئة التي وجّه إليها الخطاب[5].

(1)الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ص 382.

(2)الأنعام: 36.

(3) ينظر: إبراهيم صالحي، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية، دراسة في الأسلوب والدلالة، مذكّرة لنيل شهادة ماجستير (مخطوط)، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2008م-2009م، ص 7.

(4) سبأ: 25.

(5) ينظر: إبراهيم صالحي، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية، ص 7.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾﴾[1]. الآية عرَّضت بمن لا يخشون الله تعالى[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾[3]. المراد والمقصود هنا هم المُخَاطبُون، وهم المعرّضُ بهم، والمراد (ما لكم لا تعبدون)، ولولا ذلك لكان الأولى والأنسب أن يقول: (وإليه أرجع) أي أنَّ الكلام موجَّهٌ للمخاطبين[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[5]، والآية الكريمة تعرِّض بالذين لا يتذكَّرون.

والمتأمل في الآيات القرآنية السالفة وغيرها من الآيات التي تحمل دلالة التعريض يرى أنَّ القرآن الكريم قد وظَّف أسلوب التعريض في مقاماتٍ مختلفة وبطرقٍ متعدِّدة، كما أنَّ فهم هذه الدلالات يتطلّب متلقياً مستوعباً لهذا الأسلوب مدركاً لأبعاده الدَّلالية ومناحيه البلاغية[6].

هذا والمتتبِّع لحركية النقد الأدبي عند العرب في بداياته يجد بعض الإشارات الدَّالة على وجود أسلوب التعريض في كلامهم وشعرهم، ومن ذلك ما رواه ابن سلاّم الجُمحي (ت231هـ) عن الخصومة التي جرت بين الزبرقان والحطيئة: «حيث ادّعى الزبرقان أنَّ الحطيئة هجاه فقال عمر: ما قال لك؟ فقال قال لي:

(1) فاطر : 28.

(2) ينظر: إبراهيم صالحي، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية، ص 7.

(3) يس: 22.

(4) ينظر: إبراهيم صالحي، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية، ص 7.

(5) الزمر : 9.

(6) ينظر: إبراهيم صالحي، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية، ص 8.

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغْيتها واقعدْ فإنّكَ أنتَ الطّاعمُ الكاسي[1]

فقال عمرلحسان: ماذا تقول؟ أهَجاه؟ وعمرٌ يعلم من ذلك ما يعلم حسان ولكنّه أراد الحجة على الحطيئة، قال: ذرق عليه، فألقاه عمرٌ في حفرة اتخذها محْبسًا»[2].

وفي خبرٍ آخر علّق ابن سلاّم الجمحي على بيتٍ من الشِّعر ورد في قصيدة كعبٍ بن زهير المشهورة في مدح النّبي ﷺ بقوله: «يُعرّض بالأنصار لغلظتهم، فقال المهاجرون لم تمدحنا إذ هجوتهم ولم يقبلوا ذلك»[3]. حتى قال[4]:

منْ سرّهُ كرمُ الحياة فلا يزلْ في مقنبٍ منْ صالحِ الأنْصارِ
الباذلينَ نفوسَهم لنبيِهمْ يوْمَ الهياجِ وسطْوة الجبّار

والبيت الذيعرّض بهم فيه هو قوله:[5]

يمْشونَ مشْيَ الجمالِ الزّهر يعْصمُهم ضربٌ إذَا عرّد السُّودُ التنابيلُ

ومعنى التعريض في هذا البيت أنّه يمدح المهاجرين الذين يشبهون –في رأيه– جمالاً بيضاً قوية البنية، وهم كذلك حين يعدّ غيرهم جبناء، قصاراً ضعاف البنية وهذا هو محلُّ التعريض بالأنصار كما يراه ابن سلاَّم.

لقد أشار الخليل بن أحمد (ت170هـ) إلى التعريض، وعرّفه : «عرَّضْتُ لفُلان

(1) الحطيئة ، الديوان ، شرح يوسف عيد،دار الجيل ،بيروت،لبنان،ط1 ، 1431 هـ،1992 ،ص117.

(2) ابن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، د ت، ج1، ص 116.

(3) نفسه، ص 102–103.

(4) أبو سعيد الحسن بن الحسين العسكري، ديوان كعب بن زهير، تقديم: حنا نصر الحتيّ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ–1996م، ص 43.

(5) نفسه، ص 42.

وبِفُلان: إذا قلتَ قولاً وأنتَ تعيبه بذلك،ومنه المعاريضُ بالكلام»[1].

يلاحظُ أنَّ الخليل هنا لم يكتفِ بالإشارة إلى المعنى اللُّغوي العام للتعريض، وهو أن يكون المذكور والمقصود معنىً آخر فحسب، بل حصر هذا «المعنى الآخر بالمقصود» في «الإطار المُعيب»، أي القدح والهجاء وما شابه به ذلك.

لقد استغلَّ الفرَّاء (ت207هـ) لفظة "معراض" التي استعملها الخليل في صيغة الجمع، وذلك عندما علّق على قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾[2]، حيث قال: «وقوله: إنّي سقيم أي مطعون من الطَّاعون، ويُقال إنَّها كلمة فيها مِعراض؛ أي إنَّ كلُّ من كان في عنقه الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به سقمٌ ظاهر، وهو وجهٌ حسن»[3].

وتعرَّض الفرَّاء للتعريض لمَّا علَّق على قوله تعالى: «وإنَّا أو إيّاكم لعلى هُدىً أو في ضلالٍ مبين»[4]. فقال: «والمعنى في قوله: (وإنَّا أو إياكم): إنَّا لضالّون أو مهتدون وإنّكم أيضاً لضالّون أو مهتدون، وهو يعلم أنَّ رسوله المهتدي وأنّ غيره الضّال، فأنت تقول في الكلام للرَّجل: إنَّ أحدَنا لكاذبٌ فكذَّبهُ تكذيباً غير مكشوف، وهو في القرآن وفي كلام العرب كثير: او يوجِّه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف»[5].

والملاحظ أنَّ الجاحظ (ت255هـ)، وهو من أبرز أعلام البلاغة العربية ذكر التعريض مرتين باسمه، ومرة مسمياً إياه كتابة، ذكر ذلك في البيان والتبيين" وفي رسائله؛ قال في حديثٍ نسبه إلى ابن المقفع: «أو ما علمت أنَّ الكناية والتعريض لا يعملان في

(1)أبو سعيد الحسن بن الحسين العسكري، ديوان كعب بن زهير، تقديم: حنا نصر الحتيّ ، ص 42.

(2) الصافات : 89.

(3) الفرّاء، معاني القرآن، تقديم وتعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ-2002م، 271/2.

(4) سبأ : 24.

(5) الفرّاء، معاني القرآن، 248/2.

العقول عمل الإفصاح والكشف؟»[1]. وذكره ضمن رسائله بقوله: «وخَلطْنا جداً بهزل، ومزجنا تقريعاً بتعريضٍ ولم نرد بأحدٍ ممَّا سمّينا سواءً، ولا تعمَّدنا نقداً. ولا تجاوزنا حدًّا»[2]، وعندما ذكره مسمياً إيّاه كناية قال: «إذا قالوا: فلانٌ مقتصدٌ فتلك كناية عن البخل، وإذا قيل للعامل: مستقصٍ، فذلك كناية عن الجور»[3].

إنَّ العبارة التي ساقها الجاحظ ونسبها إلى ابن المقفع جعلت الكناية والتعريض رديفين في مقابل الإفصاح والكشف، إلاَّ أنَّك تجده من خلال المقولتين الأخيرتين يحدِّد مفهوم التعريض في مجال القدح والذَّم، ويتجاوز بذلك ما ذهب إليه ابن المقفع من كون التعريض هو الخفاء الذي يقابل الكشف والإفصاح[4].

وذكر المبرّد (ت285هـ) في كتاب "الكامل في اللّغة والأدب والتعريض" في معرض حديثه عن قصة جرت بين رجلين جرت بينهما مساجلة شعرية، قال المبرّد[5]: «وكان عبد الله أحد الأدباء الفقهاء الصُلحاء، وزعم ابن عائشة قال: عتبت عليه مرة في شيءٍ، قال فلقيني في باب المسجد يريد مجلس الحكم، وانأ أخرجُ فقلت معرضاً به:

طَمِعْتَبِلَيْلَى أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ اَلرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

فأنشد معرّضًا، تاركاً ما قصدته له:

وَبَايَنْتُ لَيْلَى فِي خَلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ت، 117/1.

(2) مجموعة الجاحظ الكاملة، دار نوبليس، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، 665/23.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، 263/1.

(4) ينظر: إبراهيم صالحي، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية، ص 12-13.

(5) المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، عني به الشيخ أحمد محمد كنعان، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ج1، ص 303-304.

يستبين من المعنى الظّاهر أنَّ البيتين يتحّدثان عن امرأة اسمها ليلى، في البيت الأول يتحدّث عنها باليأس من قربها وعدم الطّمع فيها، أمَّا البيت الثاني فيتحدّث عن ليلى المتمكِّن منها والمتعفَّف عنها، هذا معنى البيتين الظَّاهر أمَّا ما أراده الرّجلان فأبعد من ذلك[1]، وهو المعنى المقصود حقيقة من المتكلم والذي يُفهم من المقام والسياق والظروف والملابسات المحيطة، والبيتان كما يرى المبرّد وُظفا في غاية هي أبعد ما تكون عن ظاهرهما الذي يتحدّث عن ليلى، وإنَّما قصد الأول بالبيت الأول قصْداً، فكان جواب الثاني رغم اشتراكهما في الحديث عن ليلى بردٍّ يوافق المعنى الذي قصده الأول بكلامه.

والذي يدلُّنا على كون قصدهما أبعد ممَّا يوحي به ظاهر اللَّفظ هو لفظة ابن عائشة (فقلت معرِّضاً).وقوله كذلك عن عبيد الله: (فأنشد معرَّضاً)، والأسلوب الذي وظَفه الرّجلان من ذكر شيءٍ يوحي به معنى اللَّفظ في ظاهره، وإرادة معنىً آخر خفي يفهم من قصد كلام الرّجلين؛ هو عينهُ المعنى البلاغي للتعريض.

وفي مقامٍ آخر نجد ابن طباطبا (ت322هـ) في كتابه "عيار الشِّعر" يذكر التعريض بقوله: «أمَّا التعريض الذي ينوبُ عن التصريح والاختصار الذي ينوب عن الإطالة فكقول عمرو بن معدى كرب"

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ

أي لو أنَّ قومي اعتنوا في القتال، وطعنوا أعداءهم برماحهم فأنطقتني بمدحهم، وذكر حسن بلائهم نَطقْتُ، ولكنَّ الرِّماح أجرَّت أي شقَّت لساني كما يجرُّ لسان الفصيل، يريد أسكتني»[2].

(1) ينظر: إبراهيم صالحي، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية، ص 14.

(2) ابن طباطبا، عيار الشّعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ-1982م، ص 34.

والظّاهر من شرح ابن طبابطا للبيت أنَّ الشاعر يعرِّض بقومه الذين لم يكونوا في مستوى الشجاعة والبسالة التي تؤهّلهم للانتصارات على أعدائهم، ولم يحرزوا من المفاخر في الطعن والقتال ومجابهة الأعداء، ما يدعوا الشاعر للإشادة بهم ومدحهم وذكر بطولاتهم.

أراد الشّاعر من قومه تقديم ما يدعو إلى مدحهم والافتخار بهم من الإقدام وإحراز النَّصر وحسن الطَّعن في الحرب، وكأنّه يقول: إنَّ جبنهم وتخاذلهم وهزيمتهم أخرست لساني ولم أجد ما أمدحهم به، فالبيت فيه تعريضٌ بهجائهم.

وذكر ابن طبابا أبياتاً أخرى في هذا المعنى نذكر منها قول القائل:

بَنِي عَمِّنَا لَا تَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغَمِيـــرِ الْقَوَافِيَا[1].

وكقول قيس بن خويلد في ضدِّه:

وَكُنَّا أُنَاسًا أَنْطَقَتْنَا سُيُوفُنَا لَنَا فِي لِقَاءِ القَوْمِ جَدٌّ وَكَوْكَبُ[2].

فالبيت الأول فيه تعريضٌ بهزيمتهم بصحراء الغمير، هذا الموقف المُخزي بهذه الموقعة أدَّى به إلى دفن القواني وعدم مدحهم لأنَّهم لم يُبلوا بلاءً حسناً، يكون مدْعاةً للافتخار والمدح، وفي البيت الآخر كان البلاء في الحرب والانتصار مدعاةً للمدح.

لقد عرّف إسحاق بن وهب (ت335هـ) الكناية والتعريض وسماهما لحناً في كتابه "البرهان في وجوه البيان"، حيث قال: وأمَّا اللَّحن فهو التعريض بالشّيء، من غير تصريح أو الكناية عنه بغيره، وكما قال الله عز وجل: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ ﴿٣٠﴾﴾[2]. والعرب تفعل ذلك لوجوه، وتستعمله في أوقات

(1) (2) البيتان ذكرهما ابن طباطبا مستشهداً بهما في كتابه: عيار الشّعر، ص 34.

(2)محمد: 30.

ومواطن، فمن ذلك ما استعملوه للتعظيم، أو التخفيف أو الاستحياء أو للبقيا، أو للإنصاف، أو الاحتراس»[1].

إنَّ ابن وهب بتحديده لهذه الأوقات والمواطن يكون قد أشار إلى ضرورة السياق أو المقام كـ ركيزةً مهمة في رصد الوظيفة البلاغية للتعريض وتحديد مفهومه.

ومن الأعلام الذين كتبوا في هذا الباب أبو هلال العسكري (ت395هـ) الذي جمع بين الكناية والتعريض، حيث قال: وهو أن يُكنَّى عن الشّيء ويعرّضَ به ولا يصرَّح، وعلى حسب ما عملوا باللَّحن والتورية عن الشَّيء كما فعل العنبري إذ بَعثَ إلى قومه بصُرّة شوكٍ وصُرّة رمل، وحنظلة، يريد جاءتكم حنظلة في عددٍ كثير ككثرة الرّمل والشَّوك»[2].

والتعريض في هذه القصة التي أوردها أبو هلال تعريضٌ بالفعل لا بالقول.

قال العسكري: «ومن التعريض الجيّد ما كتب به عمرو بن مسعدة إلى المأمون: أمَّا بعد، فقد استشفعَ بـ فلان إلى أمير المؤمنين ليتطوّل عليه في إلحاقه بنُظرائه من المرتزقين فيما يرتزقون، فأعلمته أنَّ أمير المؤمنين لم يجعلنِي في مراتب المُستشفعِ بهم، وفي ابتدائه بذلك تعدّي طاعته والسّلام.

فوقع في كتابه: قد عرفنا تصريحك له، وتعريضك بنفسك، وأجبناك إليهما، وأوقفناك عليهما»[3].

وفي كتاب "الخصائص" نجدُ ابن جنّي لمَّا تصدَّى بالرَّد على من ادَّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني –نجده– في شرحه لبيتين من الشّعر يتطرّق للتعريض وما شابهه، حيث يقول: «وذلك أن قوله أطراف الحديث وحْياً خفياً، ورمزاً حلواً،

(1) إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، د ت، القاهرة، ص 109.

(2) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م، ص 368.

(3)نفسه ، ص 368.

ألا ترى أنَّه يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبّون، ويتفاوضه ذوو الصَّبابة المتيّمون من التعريض والتلويح والإيماء دون التصريح، وذلك أحلى وأدْمثُ وأغزل، وأنسب من أن يكون مشافهة وكشفاً، ومصارحة وجهراً، وإذا كان كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم، وأشدُّ تقدُّماً في نفوسهم من لفظهما وإن عذُب موقعه وأنِقَ له مستمعه»[1]. والبيتان اللّذان أوردهما ابن جنّي هما:[2]

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

ومن الذين أفردوا لهذا الأسلوب كتاباً خاصاً الثعالبي (ت429هـ) الذي ألّف كتابه: "الكناية والتعريض"، إلاَّ أنَّه لم يفرّق بينهما في الدّلالة ولم يجعل حداً فاصلاً بينهما[3]. ونجدُ الثَّعالبي في الفصل الذي خصّصه للحديث عن التعريض ينقل ما قاله ابن قتيبة في بداية فصله بنصِّه عن التعريض، وساق ما قاله حرفياً في كتاب (مشكل تأويل القرآن" الذي جاء فيه: «العرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً، فتبلغ إرادتها بوجهٍ هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح ويعيبون الرجل إذا كان يُكاشف في كلِّ شيء»[4].

ولم يُجز الله عزَّ وجل التصريح في خطبة النّساء المعتدّات وأجاز التعريض بذلك.

ومن صور التعريض في الخطبة أن يُقال للمرأة: والله إنَّكِ لجميلة، وإنَّك لشابّة وإنَّ النساء لمن حاجتي[5].

(1) ابن جنّي، الخصائص، تحقيق: الشربيني شريده، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 1428هـ-2007م، 281/1.

(2) البيتان لم يذكر لهما قائل، استشهد بهما ابن جنّي في الخصائص، 279/1.

(3) ينظر: إبراهيم صالحي، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية، ص 21.

(4) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط1، 1423هـ-2002م، ص 163.

(5) الثعالبي، الكناية والتعريض، تحقيق عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998م، ص 167.

وروى بعض أصحاب اللُّغة أنَّ قوماً من الأعراب خرجوا يمتارون فلمَّا صدروا خالف رجُلٌ في بعض اللّيالي إلى عكم صاحبه، وأخذه وجعله في عِكمِه، فلمَّا أرادوا الرحلة، وقاما يتعاكمان، رأى عِكمَهُ يشول وعكم صاحبه يرجح ويثقل، فأنشأ يقول:

عِكْمٌ تَغَشَى بعْضَ أَعْكَامِ الْقَوْمِ لَمْ أَرَ عِكْماً سَارِقاً قَبْلَ الْيَوْمِ

فكان هذا البيت تعريضاً بصاحبه الذي سرق ما في عكمه، وتخويناً له[1].

«وعن سعيد بن جُبير عن ابن عباس في قوله عزَّ وجل حكاية عن موسى عليه السلام ﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴿٧٣﴾﴾[2]. قال لم ينسَ ولكنَّها من معاريض الكلام، وأراد ابن عبّاس أنَّه لم يقل إنِّي نسيت فيكون كاذباً ولكنَّه قال: لا تؤاخذني بمَا نسيتُ، فأوهمه النِّسيان ولم ينسَ ولم يكذب»[3].

والذي يتبادر لنا من خلال دراساتنا لتعريفات أعلام البلاغة للتعريض أنَّ معظمهم لم يفرِّقوا بين مفهومي الكناية والتعريض، حيث جعلوا الكناية معادلةً للتعريض، ومن الملاحظ كذلك من خلال الشَّواهد القرآنية والشعرية وغيرها أنَّ بعض الشَّواهد ترد في باب الكناية ثم تأتي أحياناً أخرى في باب التعريض.

ونجد من بين هؤلاء الأعلام الذين جعلوا التعريض رديفاً للكناية من خلال شواهدهم التي أوردها الثعالبي؛ الذي ذكر كذلك أنَّ التعريض يكون بالفعل كما يكون بالقول، وأورد لذلك قصة فقال: «ومن التعريض بالفعل ما يروى انَّ معاوية أرسل إلى عمرو بن العاص بكلام، فقال للرسول انظرْ ما يردُّ عليك، فلمّا تكلَّم عضّ عمروا إبهامه

(1) ينظر: الثعالبي، الكناية والتعريض ، ص 167.

(2)الكهف: 73.

(3) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 165.

حتى فرغ الرسول، ولم يزده على ذلك، فلمَّا رجع إلى معاوية أخبره بفعله، فقال له معاوية: ما أراد؟ قال: لا أدري، قال: إنَّما قال: أتقرِّعني وأنا ألوك شكيمة قارح؟»[1].

وأورد ابن قتيبة (ت286هـ) في كتابه "عيون الأخبار" باباً عنونه بـ: "التلطُّف في الكلام والجواب وحسن التعريض" ذكر فيه: «أنَّ سنان بن مكمّل النميري كان يساير ابن هبيرة وهو على بغلة فقال له عمر بن هبيرة: غُضَّ من بغلتك؛ قال: كلاَّ إنَّها مكتوبة»[2]. أراد ابن هبيرة قول الشاعر:

فَغُضِّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

وأراد سنان قول الآخر:

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيَاً خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلُوصِكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ

وورد في كتاب "عيون الأخبار" كذلك فيما رواه الأصمعي «أنَّ معاوية قال للأحنف" يا أحنف ما الشَّيء الملفّف في البِجاد؟ فقال: هو السخينة يا أمير المؤمنين أراد معاوية قول الشّاعر:

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ
بِخُبْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ الشَّيءِ المُلَفَّفِ فِي الْبِجَادِ

وأراد الأحنف أنّ قريشاً تعبّر بأكل السخينة»[3].

وأورد ابن قتيبة قصة المرأة التي ذكرت أبياتاً عرّضت فيها برائحة فم زوجها

(1) الثعالبي، الكناية والتعريض، ص 170.

(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1423هـ-2002م، ص 354.

(3) السابق، ص 354.

المتغيرة، وسمعها عمر بن الخطاب في الطواف تقول:[1]

فَمِنْهُنَّ مَنْ تُسْقَى بِعَذْبٍ مُبَرّدٍ نُقَاخٍ فَتِلْكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتِ
وَمِنْهُنَّ مَنْ تُسْقَى بِأَخْضَرَ آجِنٍ أُجَاجٍ وَلَوْلاَ خَشْيَةُ اللَّهِ فَرّتِ

«فعلم ما تشكو، فبعث إلى زوجها فوجده متغيّر الفم، فخيّره بين خمسمائة درهم، أو جارية من الفيء على أن يطلّقها، فاختار خمسمائة فأعطاه وطلقها»[2].

ومن القصص التي أوردها الثعالبي في كتابه الكناية والتعريض: «أنَّ تميمياًونميرياّ التقيا في مجلسٍ، وخاضا مع الخائضين، فقال التميمي: يعجبني من الجوارح البازي، فقال النّميري": لاسيما إذا كان يصطاد القطاة»[3].

وإنَّما أراد التميميُّ قول الشَّاعر:

أَنَا الْبَازِيُّ الْمُطِلُّ عَلَى نُمَيْرٍ أُتِيحُ مِنَ السَّمَاءِ لَهُ اِنْصِبَابَا

وأراد النميريُّ قول الطّرماح:

تَمِيمٌ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتِ

وذكر الثعالبي كذلك: «أنَّ رجلاً دخل على عبد الله بن يزيد الهلالي، وهو بأرمينية، فقال عبد الله: ما لقينَا البارحة من شيوخ محارب !! ما تركُونا ننام، يعني الضَّفادع، ويريد قول الأخطل:

تَنِقٌّ بِلَا شَيْءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبِرِي
ضَفَادِعُ فِي ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

(1) البيتان ذكرهما ابن قتيبة في عيون الأخبار، ص 354.

(2) نفسه، ص 354.

(3) الثعالبي، الكناية والتعريض، ص 168-169.

فقال أصْلحكَ الله، إنَّهم أضلُّوا البارحة بُرقُعاً فكانوا في طلبه»[1]. يريد قول الشَّاعر:

لِكُلِ هِلَالِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ جُنَّةٌ وَلِابْنِ يَزِيدٍ بُرْقُعٌ وَجِلَالٌ

لقد ذكر ابن رشيق القيرواني (ت463هـ) التعريض في معرض حديثه عن الإشارة، فقد جعله باباً من أبواب الإشارة واستهلَّ حديثه بتعريف الإشارة فقال: «والإشارة من غرائب الشِّعر ومُلحِه، وبلاغة عجيبة، تدلُّ على بُعد المَرمى، وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلاَّ الشَّاعر المبرز، والحاذق الماهر، وهي في كلِّ نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلوح يعرف مُجملاً ، ومعناه بعيدٌ من ظاهر لفظه»[2].

ولمّا وصل إلى التعريض لم يعرّفه وإنَّما مثّل له بشواهد شعرية فقال: ومن أنواعها التعريض، كقول كعبٍ بن زهير لرسول الله ﷺ :

فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا [3]

فَعَرَّضَ بِعُمَر بن الخطاب وقيل بأبي بكر رضي الله عنهما وقيلبرسول الله ﷺ تعريض مدحٍ، ثمَّ قال:

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ [4]

قيل إنَّه عرَّض في هذا البيت بالأنصار، فغضبت الأنصار وقال المهاجرون لمَ

(1) السابق، ص 169.

(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة، في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصّله وعلّق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، 250/1.

(3) أبو سعيد الحسن بن الحسين العسكري. ديوان كعب بن زهير، ص 41

(4) نفسه، ص 42.

تمْدحنا إذ ذممْتهمْ، حتىَّ صرَّح بمدحهم في أبياتٍ يقول فيها:[1]

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مَقْنِبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ

ومن التعريض الذي يُستجادُ؛ الأبيات التي قالها أيمن بن خريم الأسدي لبشْر بن مروان مادحاً له ومعرِّضاً بكلفٍ كان بوجه أخيه عبد العزيز حين نفاه من مصر على يدي نصيب الشَّاعر:

كَأَنَّ التَّاجَ تَاجَ بَنِي هِرَقْلٍ جَلَوْهُ لِأَعْظَمِ الْأَعْيَادِ عِيدَا
يُصَافِحُ خَدَّ بِشْرٍ حِينَ يُمسِي إِذَا الظَّلْمَاءُ بَاشَرَتِ الْخُدُودَا

يقول ابن رشيق: «وهذا من خفيَ التعريض؛ لأنَّه اوهم السَّامع أنَّهُ إنما أراد المبالغة بذكر الظَّلماء لا سيما وقد قال: (حين يُمسي) ، وإنَّما أراد الكَلَفَ، هكذا حكت الرواة»[2].

ومن أفضل التعريض ممَّا يجلُّ عن جميع الكلام، قول الله عزّ وجل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيز ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[3]. «أي الذي كان يُقال له هذا أو يقوله، وهو أبو جهل ، لأنَّه قال: ما بين جبليهما –يعني مكة– أعزَّ منِّي ولا أكرم، وقيل: بل ذلك على معنى الاستهزاء به»[4].

ومن أبرز أعلام البلاغة عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الذي ذكر التعريض في كتابه «دلائل الإعجاز»، في مواضع متفرقة، نذكر منها قوله الذي نستشفُّ منه مساواته بين التعريض والكناية، حيث جعلهما نظيرين للإفصاح والتصريح، ولاشكَّ أنَّ الإفصاح والتصريح رديفان.

(1)السابق، ص 43.
(2) ابن رشيق، العمدة، 251/1–252.
(3)الدخان: 49.
(4) ابن رشيق، العمدة، 252/1

قال عبد القاهر: «قد أجمعَ الجميع على أنَّ الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأنَّ للاستعارة مزية وفضلاً، وأنَّ المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة»[1].

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنَّ التعبير بالألفاظ الكنائية أو الأساليب التعريضية له الأثر البالغ في الوصول إلى المراد، وبلوغ الغاية بمعانٍ أكثر بهاءً ونُبلاً من التصريح، والإفصاح بالمرادات.

والذي ذهب إليه الجرجاني من كون الكناية أبلغ من التصريح؛ أنَّنا إذا كنّينا عن المعنى لم نَزِدْ في ذاته ، بل يزيدُ ذلك في إثباته، فيصبح أبلغ وآكد وأشد، فليست عبارة «جمَّ الرّماد» تدلُّ على قِرىً أكثر، بل تدل على إثبات القِرى الكثير من وجهٍ هو أبلغ وأشدُّ في إيجابه، ووثوق صحته»[2].

يفرِّق الزّمخشري (ت538هـ) في تفسيره «الكشاف» بين مفهوم الكناية ومفهوم التعريض، وذلك لما فسّر الآية التي تحدّثت عن التعريض بخطبة المعتدة والتي جاءت في سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاح عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِۦ مِن خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾[3].

يقول الزمخشري بعد تفسيرها: «فإنَ قلت: أيُّ فرقٍ بين الكناية والتعريض؟ قلت: الكناية أن تذكر الشّيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك: طويل النّجاد والحمائل لطويل

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهر محمود، محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3. 1413هـ ، 1992 م، ص70.

(2)ينظر : نفسه، ص 71.

(3) البقرة: 235.

القامة، وكثير الرماد للمضياف. والتعريض أن تذكر شيئاً تدلُّ به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم ولأنظر إلى وجهك الكريم »[1].

يذكر السّكاكي (ت626هـ) التعريض في كتابه "مفتاح العلوم" ويجعله قسماً من أقسام الكناية حيث يقول: «الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمزٌ وإيماءٌ وإشارة»[2]، ثمَّ يذكره في موضعٍ آخر من الكتاب بقوله: «والتعريض كما يكون كناية قد يكون مجازاً، كقولك آذيتني فستعرف، وأنت لا تريد المُخاطب بل تريد إنساناً معه وإن أردتهما جميعاً كانت كناية»[3].

عرّف ابن الأثير (ت637هـ) التعريض في كتابه: «المثل السائر» بقوله: «هو اللَّفظ الدَّال على الشّيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي، فإنَّك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلبٍ: والله إنِّي لمحتاجٌ، وليس في يديّ شيءٌ وأنا عُريان والبرد آذاني»[4]. إنَّ هذه العبارات وأشباهها كما يرى ابن الأثير هي تعريضٌ بالطَّلب رغم أنَّها لم توضع في مقابلة الطّلب لا حقيقة ولا مجازاً، إنَّما يستدل عليها من طريق المفهوم.

وفي هذا المعنى ذكر ابن الأثير أنَّ العبارات التي يُعرَّضُ بها في خطبة النِّكاح لا تدل على طلب النِّكاح حقيقة ولا مجازاً كقولك للمرأة: إنّكِ لخليّة، وإنِّي لعزب[5].

ويميّزُ ابن الأثير بين دلالتي الكناية والتعريض، فالأولى لفظية وضعية، والثانية أي دلالة التعريض من جهة المفهوم، ويرى كذلك بأنَّ التعريض أخفى من الكناية، وسُمي

(1) الزمخشري، تفسير الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، 1/282-286.

(2) السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1356هـ-1937م، ص 190.

(3) نفسه، ص 194.

(4) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق وتعليق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت، ص 56-57.

(5) ينظر: نفسه، ص 57.

تعريضاً؛ لأنَّ المعنى يفهم فيه من عُرضه أي من جانبه، وعرض كلِّ شيءٍ جانبه[1].

ومن الفروق التي ذكرها ابن الأثير بين الكناية والتعريض؛ أنَّ الكناية تشمل اللّفظين المفرد والمركّب معاً، فتأتي على هذا تارةً، وعلى هذا أخرى، والتعريض لا يختص إلاَّ باللّفظ المركَّب دون المفرد، ويستدل ابن الأثير على ذلك بكون المعنى في التعريض لا يفهم من جهتي الحقيقة والمجاز، وإنَّما يفهم من جهة التلويح والإشارة، وذلك لا يستقلُّ به اللَّفظ المفرد، بل يحتاج في الدلالة عليه إلى اللَّفظ المركَّب[2].

وفي معرض الحديث عن الدلالة التعريضية يشير أسامة البحيري في كتابه "البنية المتحولة في البلاغة العربية" إلى أنَّ الدلالة التعريضية التي تُفهم من العبارة تختلف عن الدَّلالة الوضعية المباشرة للدّوال، لأنَّ الناتج التعريضي يتحقق بتجاوز البنية السطحية للصّياغة، كما أنَّ الدّلالة التعريضية لا تنتج من نقل الدوال، أو تغيير مدلولاتها، وإنَّما هي دلالة إضافية يُضفيها السِّياق على التركيب، وبذلك يختلف التعريض عن المجاز[3].

وأورد ابن حمزة العلوي (ت749هـ) تعريفه الذي ارتضاه للتعريض فقال: «هو المعنى الحاصل عند اللَّفظ لا به»[4]. ثمَّ يبيِّنُ معنى قوله: الحاصل عند اللَّفظ بأنَّه عامٌ يدخل تحته اللَّفظ الحقيقي واللَّفظ المجازي، أمَّا بيانه للشِّق الثَّاني من التعريف ، وهو قوله: لابه، يعني انَّه يخرج منه جميع ما ذكرناه؛ لأنَّ الحقيقة والمجاز وما يندرج تحتهما

(1) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر ، ص 57.

(2) ينظر: نفسه، ص 57.

(3) ينظر: أسامة البحيري، البنية المتحولة في البلاغة العربية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر، د.ط، 2009م، ص 324.

(4) يحي بن حمزة العلوي، الطراز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1423هـ، 2002م، ص 194.

مستوية في دلالة اللَّفظ عليها، وحصولها يكون عند اللَّفظ، وقوله: لا به، يدخل تحته التعريض لأنَّه حاصلٌ بغير اللَّفظ، وهو القرينة.

وذكر حدَّ التعريض بقوله: وإن شئتَ قلتَ في حدِّه: هو المعنى المدلول عليه بالقرينة دون اللَّفظ»[1].

يتفق ابن الأثير وابن حمزة العلوي من خلال تعريفهما للتعريض على كون الدّلالة التعريضية منفصلة عن الدَّلالة الحقيقية أو الكنائية أو المجازية، فالدَّلالات الثَّلاث تتوصَّل إلى تحيق غاياتها بالألفاظ، بخلاف التعريض فإنه يتوصل الى ذلك من خلال السِّياق[2].

تحصل الدَّلالة التعريضية عند اللَّفظ ومعه، ويُتوصَّلُ إليها عن طريق السِّياق وقرائن الأحوال، فهي من مستتبعات التراكيب، فقد تكون مستتبعة لتركيبٍ حقيقي[3]، وهنا يتحقق المعنى التعريضي على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: الدَّلالة الحقيقية الناتجة عن المعنى الوضعي.
- المرحلة الثانية: الدَّلالة التعريضية النَّاتجة عن السياق.

ويمكن أن نجسّد هذه الدلالة في المخطط التالي:

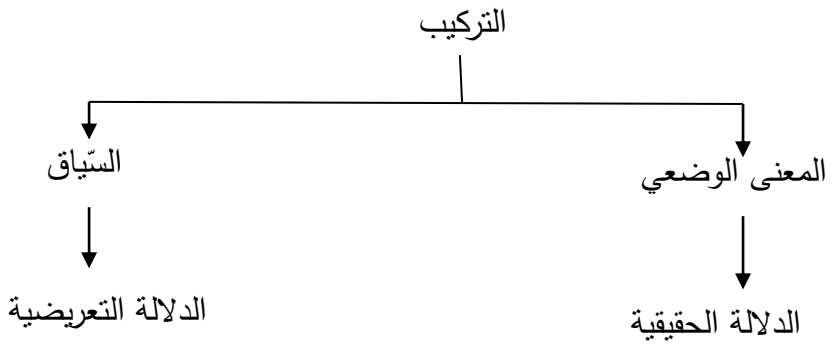

(1) يحي بن حمزة العلوي، الطراز، ص 194.

(2) ينظر: أسامة البحيري، البنية المتحولة في البلاغة العربية، ص 325.

(3) ينظر: نفسه، 325.

ومن النَّماذج التعريضية التي وردت في القرآن الكريم، وتتمثل فيها الدلالتان الحقيقية والتعريضية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩﴾[1].

هناك دلالتان للآية:

- دلالة حقيقية عامّة: يتذكَّر أولو الألباب.
- دلالة تعريضية: ذمُّ الكفَّار بأنَّهم من فرط عنادهم في حكم من لا يعقل.

فصياغة الآية في بنيتها السّطحية تهدف إلى العموم بذكر حقيقة معروفة، ولكنَّ السياق وضغوطاته وجَّهت الدَّلالة إلى متلقٍّ خاص مقصود (الكفَّار)؛ لأنَّ ورود الآية كان في سياق المفاضلة بين المؤمنين والكفَّار. وهنا يأتي دور المتلقّي الذي ينظر إلى البنية السطحية في توجيهها الدلالي العام، ثمَّ يُنظر إلى اتجاه السياق وقرائن الأحوال بالدَّلالة إلى متلقٍّ خاص، تتولَّدُ الدَّلالة التعريضية التي تهدف إلى ذمِّ الكفار وتوبيخهم[2].

وهذا ما ذهب إليه الجرجاني لما تطرق من المقصود من الآية فقال: « ليس الغرض من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3]، أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يُذمَّ الكفَّار وأن يُقال: إنَّهم من فرط العناد، ومن غلبة الهوى عليهم في حكم منْ ليسَ بذي عقل»[4].

وَفي بيتٍ شعري للعبَّاس بن الأحنف قال فيه:[5]

أَنَا لَمْ أُرْزَقْ مَوَدَّتَكُمْ إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رُزِقَا

(1)الرعد: 19، والزّمر: 09.

(2) ينظر: أسامة البحيري، البنية المتحولة في البلاغة العربية، ص 325-326.

(3)الرعد: 19، والزّمر: 09.

(4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 354.

(5)عباس بن الأحنف،الديوان،شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي ،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة،مصر، 1373هـ-1954م،ص 192.

إنَّ الدَّلالة الحقيقية العامَّة التي تُفهمُ من ظاهر الألفاظ أنَّ الرّزق مقسومٌ للعبد، إلاَّ أنَّ المعنى الخفي الذي يُفهمُ من السّياق وفقاً لقرائن دالة، وهو المعنى المفهوم أو الدَّلالة التعريضية فهو قطع الأمل في الحُبِّ واليأس من الوصل.

يوحي وجود ضمير المتكلّم (أنا) في صياغة البيت بتوجيه الدَّلالة العامة في بنية القصر (إنَّما للعَبْد مَا رُزِقَا) نحو شخصٍ مقصودٍ ومعروفٍ، هو المتحدّث نفسهُ، والمتلقّي ينظر في معطيات البنية السّطحية ومقتضيات السِّياق. وكذلك يتمعَّنُ في حضور الذَّات (ذات المتحدِّث) وغيابها، ومن خلال الرَّبط بن هذه المعطيات تتولَّد لديه الدَّلالة التعريضية التي توحي بانقطاع الأمل واليأس من وصل المحبوب[1].

قال عبد القاهر الجرجاني: «الغرض أنْ يُفْهمكَ من طريق التعريض أنَّه قد صار ينْصحُ نفسه، ويُعلم أنّه ينبغي أن يقطع الطَّمع من وصلها، وييأس من أن يكون منها إسعاف»[2].

يتحقّق المعنى التعريضي في بعض الأحيان على مراحل ثلاث وذلك عندما تكون الدَّلالة التعريضية مستتبعة لتركيب كنائي وهذه المراحل هي:[3]

- المرحلة الأولى: المعنى الحقيقي المباشر.
- المرحلة الثانية: المعنى الكنائي اللاَّزم.
- المرحلة الثالثة: المعنى التعريضي الناتج من السياق وقرائن الأحوال.

(1) ينظر: أسامة البحيري، البنية المتحولة في البلاغة العربية، ص 326.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 355.

(3) ينظر: أسامة البحيري، البنية المتحولة في البلاغة العربية، ص 327.

ويمكن أن نبيّن ذلك بواسطة هذا المخطط.

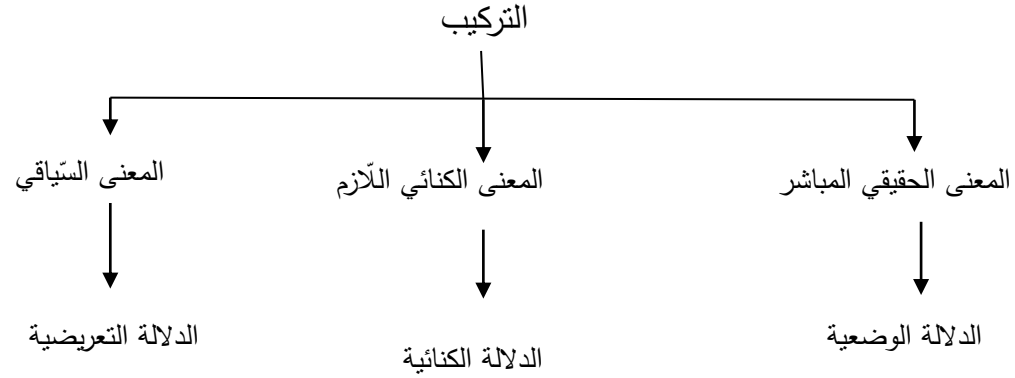

ونجد هذه المعاني الثلاث في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾[1].

- المعنى الأول: حقيقي مصرَّح به من خلال اللَّفظ وهو: من يتربَّى في الزِّينة، ولا يبين على الخصومة والجدال.
- المعنى الثاني: كنائي، ويقصد النساء.
- المعنى الثالث: تعريضي، وهو إرشاد الرجال إلى الصّلابة والخشونة والابتعاد عن التنعُّم الزَّائد والزينة المسرفة[2].

وقد يكون التَّركيب المجازي[3] الذي يأتي من قبل التعريض طريقاً للوصول إلى المعنى التعريضي المقصود من الكلام، وهذا المعنى المجازي يكون إشارةً أو تلويحاً يُستدلُّ عليه من السياق، ومثال ذلك أن تكون في مجلسٍ يضمُّ شخصاً كان يتطلعُ إلى منصبٍ عالٍ، ثمَّ وصل إلى المنصب منْ هو أكفأُ منه، وأردت أن تُعرِّض بذلك المتطلع فقلتَ: أخذ القوسُ باريها، وأنت لا تقصد سوى هذا المعنى التعريضي، فهذه العبارة هي

(1)الزخرف: 18.

(2)أسامة البحيري، البنية المتحولة في البلاغة العربية، ص 127.

(3)ينظر: نفسه، ص 327.

كلامٌ مجازي، إذ هي استعارةتمثيلية، ومن هذه العبارة تتولد الدلالة التعريضية على ثلاث مراحل: [1]

- المرحلة الأولى: المعنى المجازي: أخذ القوس باريها ← استعارة تمثيلية.
- المرحلة الثانية: المعنى الحقيقي (فاز بالمنصب من يستحقه).
- المرحلة الثالثة: المعنى التعريضي (توبيخ الذي يتطلُّع إلى ما لا يستحقه وتقريعه)، وهذا المعنى يُفهم من السياق وقرائن الأحوال[2].

يتبيَّنُ من خلال النماذج التعريضية التي ذكرناها أنَّ الدَّلالة التعريضية تعتمد في إنتاجها على طرفي التواصل أي المتكلم والمُخَاطَبْ، ويجب أن يكون المتلقِّي حاضر الذِّهن قادراً على فهم ما وراء الألفاظ، مستعيناً على ذلك بقرائن الأحوال والمقامات، متفهماً للسِّياق الذي ورد فيه التركيب، الذي يحمل المعنى التعريضي، فالمتلقي يتجاوزُ المستوى السَّطحي المباشر، ويستخرجُ منه دلالاتٍ بديلة مستعيناً بالفضاء الذي جاءت فيه الصِّياغة وما يحتويه من إشارات دلالية.

ومن جهة أخرى كذلك نجدُ حضور قصد المتكلّم الذي يلعبُ الدَّور الأساس في إنتاج المعنى التعريضي، وبدونهِ قد تتحوّلُ الصياغة بنواتجها إلى حقيقة مباشرة تعمل على الإخبار عن حالة بعينها، دون تجاوزها إلى مفهومها[3].

لقد استعرضنا جملة من التعريفات والأقوال لأبرز علماء البلاغة الذين تناولوا هذا الأسلوب في كتاباتهم، إلاَّ أنَّ الإجماع لم يقع على تعريفٍ جامع ودقيق ومستقل للتعريض على الرُّغم من أنَّ هذا الأسلوب كان شائعاً من حيث الاستعمال في كلامهم، فقد كان

(1)أسامة البحيري، البنية المتحولة في البلاغة العربية ، ص 328.

(2) نفسه، ص 328.

(3)السابق، ص 328.

اختلافهم واضحاً من حيثُ ضبط م فهومه،فمنهم من جعل التعريض رديفاً للكناية بلا تفريق، ومنحهم من جعله قسماً من أقسام الإشارة كـ ابن رشيق صاحب كتاب "العمدة"، ومنهم من جعله مستقلاً بذاته وحاول التفريق بينه وبين الكناية، ومن هؤلاء الزّمخشري، وابن الأثير وابن حمزة العلوي الذين ذكروا جملة من العناصر الذي تُميِّز التعريض عن الكناية وعن المجاز كذلك.

ومن خلال الشَّواهد والمفاهيم التي اوردها البلاغيون لأسلوب التعريض يتبيَّنُ أنَّ المفهوم التعريضي لا يُفهمُ معناه من الدَّلالة السَّطحية العامّة للكلام، وإنَّما يلعبُ السّياق وقرائنُ الأحوال دوراً هاماً في تجلية الدَّلالة التعريضية المقصودة.

فالسِّياقُ له دورٌ أساس في بيان المعاني الخفيّة والمقصودة من وراءِ الألفاظ الظَّاهرة التي لا يمكن التوصل إلى فهمها إلاَّ من خلال القرائن والمقامات التي تنقل الخطاب أو الكلام من دلالته العامة إلى الدَّلالة التعريضية.

إنَّ ثمَّة جملة من العناصر التي حظيت باهتمام البلاغيين العرب القدامى، كما تناولتها الدِّراسات التداولية الغربية الحديثة، تبيّن لنا العلاقة والصِّلة بين الأساليب العربية والصُّور البيانية، ومن بينها التعريض، وبيْن الدراسات التداولية الحديثة التي عُنيت بعناصر الخطاب وفهمه كالسِّياق والمقام والقصد وغيرها؛ هذه العناصر وغيرها ممَّا اهتمت به الدراسات التداولية الحديثة كان علماءُ البلاغة كالجرجاني والجاحظ وغيرهم ممَّن أفاض في الحديث فيها ممّا جعل بعض المحدثين يرى أنَّ التداولية بلاغةٌ بثوبٍ جديد.وحول العلاقة بين التعريض والتداولية سيكون حديثنا في المبحث الموالي.

2- علاقة التعريض بالدراسات التداولية

لقد تناول البلاغيون القدامى معظم العناصر والقضايا التي اهتمت بها الدّراسات التداولية الحديثة، إمَّا بمصطلحاتها أم بمصطلحات أخرى، وخاصَّة ما تعلّق منها بالمتكلِّم والسَّامع، والقصد والمقام، والسّياق، والمعنى الظَّاهر والمعنى الخفي المضمر، هذه العناصر وغيرها هي من اهتمامات الدّراسات التداولية الحديثة، وهذا ما ذهب إليه العالم جورج يول(George Yule)في الفصل الأول من كتابه "التداولية".

يرى جورج يول أنَّ «التداولية تختصُّ بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب)، ويفسّره المستمع (أو القارئ)؛ لذا فإنَّها مرتبطة بتحليل ما يعنيه النّاس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عباراتُ هذه الألفاظ منفصلة. التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم»[1].

وحول هذه القضية أي "المعنى" كانت دراسات البلاغيين العرب القدامى الذين تناولوا قضية المعنى وأفاضوا فيها، ومن هؤلاء نذكر الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم ممّن جعل لها باباً أسموه: «قضية اللّفظ والمعنى»، وتوسّعوا في دراسة جوانبه.

وأسلوب التعريض كما جاء في تعريفات البلاغيين من أنَّه لا يُفهمُ فيه المعنى من ظاهر اللّفظ المفرد، ولكنّه يحتاج في الدّلالة عليه إلى النّظر في اللّفظ المركّب، فالدّلالة التعريضية يرجع فيها إلى فهم قصد المتكلم من خلال الألفاظ المركّبة والظروف والملابسات المحيطة، وقرائن الأحوال التي يستدل بها مجتمعة على فهم قصد المتكلم من وراء الألفاظ الظاهرة التي قد تحمل في ثناياها أغراضاً ومُرادات يريد المتكلم إيصالها، ويستدل عليها بإشارات دلالية تنقلها من صياغتها الدلالية السّطحية العامّة، إلى دلالات

(1) جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 19.

تعريضية لا يُتوصّلُ إلى فهم مقاصدها ومراميها إلاَّ من خلال وجود هذه القرائن الإشارية المعتمدة على السياق.

تكلّم جورج يول عن المعنى السياقي الذي لا يمكن فهم الدلالات التعريضية إلاَّ من خلاله، فيقول مشيراً إلى دور السياق في فهم المعنى: «يتضمّنُ ميدان الدراسة هذا بالضّرورة تفسير ما يعنيه الناس في سياق معُيّن، وكيفية تأثير السياق فيما يُقال، كما يتطلّبُ أيضاً التمعّن في الآلية التي ينظّم من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله، وفقاً لهوية الذي يتكلون إليه، وأين، ومتى، وتحت أي ظرفٍ. التداولية هي دراسة المعنى السياقي»[1].

يتبيَّنُ لنا من المقولة السابقة لجورج يول أنَّ كل العناصر المقامية والسياقية التي ذكرها بدءًا بتأثير السياق وضرورة معرفة هوية المتكلّم، وهو ما يسمّيه بشر بن المعتمر (معرفة أقدار المتكلمين والظُّروف التي قيل فيها الخطاب بما فيها مراعاة الزمان والمكان ومدى تأثير ذلك كله على مفهوم فحوى الخطاب ومتضمّناته.

ولا يخفى دور دراسة المعنى السياقي في فهم الدلالة التعريضية التي يوحي بها قصد المتكلم، دون التصريح بما قصدهُ لفظاً دائماً يفهم قصده من خلال القرائن التي تفهم من السياق.

ويرى جورج يول أنَّ هذا المنهاج يدرس أيضاً: «الكيفية التي يصوغُ من خلالها المستمعون استدلالات حول ما يُقال للوصول إلى تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم، ويبحث نوع الدراسة هذا في كيفية إدراك قدرٍ كبير ممّا لم يتم قوله، على أنَّه جزءٌ ممَّا يتمُّ

(1) جورج يول، التداولية، ص 19.

إيصاله. بإمكاننا القول إنَّه دراسة المعنى غير المرئي. التداولية هي دراسة كيفية إيصال أكثر ممَّا يقال»[1].

في هذه الفقرة يشير جورج يول إلى الدّور الأساس الذي يلعبهُ دور المتلقي في فهم مقاصد المتكلم ومراميه من وراء ألفاظه، وتفسيرها على ضوء السياق وما يحمله من شواهد وقرائن وإرشارات دالة على معانٍ خفيّة. وحول هذه المعاني المذكورة وردت الكثير من النّماذج التعريضية في القرآن والشّعر، وتجدر الإشارة إلى أنّنا ذكرنا بعضها في المبحث السّابق، والتي يُذكر فيها المعنى الدّلالي العام المفهوم من اللّفظ، ويقصد من ورائه معنًى تعريضياً خفياً يُتوصّلُ إليه من خلال السياق والقرائن، وبذلك يكون المَقول أقلّ ممَّا يُرادُ إيصالهُ، أي أنَّ المعنى الخفي أوسع في الدلالة.

تقوم الدِراسة التداولية على البحث في العلاقة بين السَّامعِ والمتكلِّم، فهي تقوم على دراسة اللّغة من حيث الاستعمال، فالتداولية تدرسُ كلَّ العلاقات بين المنطوقات اللغوية وعمليات التفاعل والاتصال وكلّ ما يعتري ذلك من ملابسات وشروط مختلفة، وتستند إلى بعض العلوم، كعلم اللّغة الاجتماعي، وعلمِ اللُّغة النَّفسي، وتعالج قيود صلاحية منطوقات لغوية (أو أفعال كلامية) وقواعدها بالنِّسبة إلى السّياق، و ملخَّصُ ذلك في دراسة العلاقة بين المتلفّظِ والمخاطب، فموضوعها –إذاً– هو التواصل البشري المعتمد على دراسة المقام والشروط المناسبة لأداء الحديث. [2].

(1) السابق، ص 19.

(2) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط2، 2012م، ص 57–58.

يقول الجيلالي دلاّش: «إنّه تخصُّصٌ لساني يدرس كيفية استخدام النَّاس للأدلة اللُّغوية في صلبِ أحاديثهم وخطاباتهم، كما يُعنى من جهةٍ أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث»[1].

لقد أردف دلاّش ذلك بإجمال تعريفها فقال: «هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية»[2]. وعدّت كذلك لكونها تهتم بالجوانب التي تبحث في معرفة مقاصد المتكلم، ومرادات كلامه، فالمعنى لا يُفهم من البنية وحدها، وهي الجانب اللّغوي منه، بل يُستقى المعنى من الجانب السِّياقي أيضاً، فقد يكون بعيداً في دلالته عن الجانب الأول، وعلى المتلقي أو اللِّساني أن يدرك ذلك[3].

ويُضرب لذلك أمثلة ونماذج تبيّن المعنى الظّاهر العام الذي يُفهم من اللّفظ، والمعنى الخفي المقصود من وراء اللفظ والذي تشترك في بيانه ومعرفته عوامل أخرى غير الدّلالات الحرفية، فلمَّا يقول شخصٌ لمن يحادثهُ في غرفة في وقتٍ متأخر من الليل: (إنِّي متْعبٌ) فالمعنى الذي يقصده المتكلم ولم يصرِّح به هو: أوقِف الحديث، او دعنى أنمْ، وليس المعنى الظّاهر أو السّطحي وهو الإخبار بالتعب، وذلك بتوفُّر شروطٍ معيّنة طبعاً.

ومن الأمثلة كذلك أن يقول شخصٌ لمن يدخل عليه المكتب ويترك الباب مفتوحاً: ألاَ ترى أنَّ الجو باردٌ؟ وهو يريد من الذي دخل أن يغلق الباب، وعلى السّامع أن يفهم ذلك القصد لإحداث التفاعل ونجاح التواصل[4].

---

(1) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية (لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها)، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص 01.

(2) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص01.

(3) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 58.

(4) نفسه، ص 58.

تتولَّد الدَّلالة الحقيقية من علاقة العلامات بمستعمليها بوصفهم عاقلين، وذوي أبعادٍ متعدِّدة، وهناك الكثير من الدّلائل المُعينة على التفسير والتأويل، وتغيير وجهة حرفية اللُّغة، وهذه الإشارات الدّالة قدْ لا تكون من جنس اللُّغة، بمعنى أنَّها خارجة عن السّياق اللُّغوي الحرفي، كتعبيرات الوجه وأوضاع الجسد، وحركات الأيدي ومحتويات الوعائين الزَّماني والمكاني، هذه الأمور لها الأثر الكبير في الإيحاء والفهم، وهي عواملٌ إذا لم يحسَن استعمالها، وأسئ استغلالها ،ترتَّب عنها تشويه المقاصد، وعرقلة الوصول إلى الدَّلالات المقصودة[1].

هناك عبارات قد يختلف مدلولها من المنظور التداولي عن دلالتها الحرفية، بحُكم أنَّ المعنى في التداولية ينبثق من علاقة العلامة بالمتكلِّم من جهة، وبالسِّياق من جهة ثانية، وليس المقصود السِّياق اللغوي فحسب، وكذلك يرتبط بالجماعة اللُّغوية التي ينتمي إليها طرفا العملية التواصلية من جهة ثالثة، فعبارة (أحسنتَ قد تعني معنى الاستحسان الحق إذا صاحبها ما يدلُّ على ذلك ممَّا يظهر على ملامح الوجه كالهشِّ، او التصفيق، او غير هذا ممَّا قد يدلُّ عليه[2].

وعبارة (أحسنت) قد تحمل دلالات أخرى، إذا كانت هناك قرائنُ مصاحبة، فقدْ تُحْملُ على الاستهزاء والسُّخرية إذا كانت مُصَاحَبَةً بإمالة الصَّوت، أو هزِّ الرَّأس، وقد يُحملُ معناها على التوبيخ الممزوج بالغضب إذا كان المُخاطِبُ أباً والسّامع ولداً فرّط في أمرٍ ينبغي عليه الإحسانُ فيه، فتُلقى العبارة في غير مدلولها الحرفي من باب التعريض

(1) ينظر: نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة للنّشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص 19.

(2) نفسه، ص 19.

زيادة في اللَّوم[1]، ونظير هذا في قوله تعالى:﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[2].

فالآية تحمل معنى التوبيخ والتقريع، ونزلت في حق عُتلٍّ من صناديد المشركين ،

الذين عتوا وتكبَّروا وصدُّوا عن سبيل الله.

لقد تكلّم الدكتور عيد بلبع عن التداولية وعلاقتها ببعض الصُّور البيانية في البلاغة العربية، وتطرَّق إلى قصد المتكلّم، وقصد الملفوظ وأفرد للكناية والتعريض عنواناً ذكر فيه الفرق بينهما، وتكلّم عنهما من المنظور التداولي، وممَّا جاء في كتابه "التداولية" حول الملفوظ وقصد المتكلم قوله: «إنَّ البحث التداولي هو بحثٌ في المقصود، الذي قد يخفى وراء الملفوظ، وأنَّ قصْدَ المتكلِّم ليس لغْزاً وتهويماً، وغموضاً، وإيهاماً، ولا يمكن أن يكون قصد المتكلِّم شيئاً لا تحتمله اللُّغة، إنَّ قصد المتكلِّم مضمنٌ في اللُّغة مَضاءً بالسياق»[3].

يتبيّن ممَّا سبق من الأقوال أنَّها تلتقي كلُّها عند الدَّور الأساس الذي يلعبهُ السِّياق وقرائن الأحوال في تحويل التراكيب من دلالاتها السطحية الظَّاهرة إلى دلالاتٍ جديدة تدلُّ على مرادات وأهداف المتكلم من الخطاب.

وممَّا ذكره بلبع عن الكناية والتعريض قوله: «الكناية تهدفُ إلى تحقيق بعْدٍ جمالي، أمَّا التعريض فيهدف إلى تحقيق مبدأ اللّياقة الاجتماعية، ولذلك فإنَّه لا غضاضة

(1)ينظر: نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، ص 20.

(2) الدخان: 49.

(3) عيد بلبع، التداولية: البعد الثالث في سيموطيقا موريس ، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، بلنسيبة للنشر والتوزيع، المنوفية، مصر، ط1، 1430هـ-2009م، ص 335.

في التصريح بالمُكنَّى عنْهُ، إذ ليس فيه ما يخدش الحياء، أمَّا المُعرَّضُ به فيُمكِن أن يكون خادشاً للحياء، فيحْسُنُ ألاَّ يصرَّح به في الكثير من الأحيان»[1].

إنَّ العملية التخاطبية يجب أن تتوفر على آليات لكي تحقق المغزى منها؛ وهو التواصل بين المرسل والمرسل إليه أي المتكلم (أو الكاتب)، والمُخاَطَب (أو القارئ)، وينظر فيها إلى المقاصد والغايات المختفية وراء الألفاظ والعبارات.

«يستعمل المرسل آلية لا يرتبطُ فيها اللَّفظ والقصد برابطٍ لغوي، وإنَّما يعتمد في بيان قصده إلى إسهام عناصر السِّياق التي يوظِّفها المرسل إليه لفهم قصد المرسل»[2]. وهذا ما ذهب إليه حمزة العلوي في تعريفه للتعريض، وقد ذكرناه في المبحث السابق.

«ويرى محمد يونس علي أنَّ بعض أنواع الاستلزام المعروفة عند الغربيين هي ما يُصنِّفه الأصوليُّون على أنَّه تعريض.

فلا يخلو التعريض من علاقة بقواعد مبدأ التعاون عند (جرايس) خصوصاً قاعدة العلاقة ، فالتعريض دليلٌ على احترام المرسِل لهذا المبدأ، ويتّضح احترامه من خلال إنتاج الخطاب وفقاً لما تطلبه قاعدة العلاقة»[3].

انطلاقاً من قاعدة العلاقة التي تنضوي تحت مبدأ التعاون عند (جرايس)، نجد أنَّ المرسل يخرق أحياناً قاعدة الكم احتراماً لقاعدة العلاقة التي يثق أنّها كفيلة بتوضيح مقصده للمرسل إليه، فالقصد يتّضح من خلال علاقة خطاب المرسل بجواب المرسل إليه في العملية التواصلية، كما يتضح ذلك من الخطاب التالي:

---

(1)السابق، ص 352.

(2)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 420.

(3)نفسه، ص 421.

س–هل أعجبكَ الكتاب؟

ج–غلافه جميل وورقه صقيل.

من خلال سؤال المُرسِلْ وجواب المرسَل إليه، يتبَّن أنَّ مادة أو محتوى الكتاب لم تكن في المستوى الذي تنال به إعجاب المرسل إليه، وجواب الأخير لا يحمل دلالة على ضعف المادة العلمية للكتاب، فجمال الغلاف وصِقل الورق لا يحملان أيّ دلالات على ضعف الكتاب، فالقصد هنا يتّضح من خلال علاقة الخطابين (السؤال والجواب)[1].

يعدُّ أسلوب التعريض من آليات الاستراتيجية التلميحية، وكثر استعمالها في خطابات العرب، ويعد من علامات النُّبوغ عندهم في مجال التخاطب، وهو من سمات الكفاءة التداولية لدى المرسِل[2].

ومن الأمثلة على ذلك القصة التي حدّث بها الشّعبي عن المرأة التي جاءت تشكو إلى عمر بن الخطاب ﷺانشغال زوجها عنها بالصّيام نهاراً وبالقيام ليلاً، فقالت: «أشكو إليكَ خير أهل الدنيا، إلاَّ رجُلاً سبقه بعمل، أو عملٌ مثل عمله، يقوم اللَّيل حتى يُصبح ويصوم النَّهار حتى يُمسي، ثمَّ أخذها الحياء فقالت: أقلني يا أمير المؤمنين، فقال: جزاكِ الله خيراً، فقد أحْسنْتِ الثَّناء، قد أقلتك»[3]، فلمَّا تولّت المرأة منصرفة قال كعب بن سور: يا أمير المؤمنين لقد أبلغت إليك في الشّكوى، يعني اشتكت زوجها، فاستدعاها عمر مع زوجها، وقضى بينهما علي بأمرٍ من عمر قضاءً لا يضيع معه حقُّها، ولا يحرم زوجها من عبادته والاجتهاد فيها.

(1)ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 421.

(2)نفسه، ص 421.

(3) ابن الجوزي، كتاب الاذكياء،(نقلا عن)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 421–422.

فالمرأة منعها الحياء من التصريح بتفريط زوجها في حقوقها وانشغاله بأمر العبادة إلاَّ أنَّها عرّضت بذلك، وفَهم سيدنا عمر كلامها على ظاهره المدحي، وفهم كعب بن سور المعنى التعريضي من كلام المرأة والرسالة التي أرادت إيصالها ضمنياً دون تصريح وإيضاح»[1].

ومن القصص التي ورد فيها أسلوب التعريض بالحاجة ما حُكِيَ: «أنَّ عبيد الله بن سليمان لمَّا تقلّد وزارة المعتضد كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي نُفُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ
فَقُلْتُ لَهُ نُعْمَــاكَ فِيــهِمْ أَتِمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنَّ المُهِمَّ مُقَدَّمُ

فقال عبيد الله: ما أحسن ما شكا أمره بين أضعاف مدحه ! وقضى حاجته»[2].

فاستخدام أسلوب التعريض فيه وقاية لماء الوجه، وعدم إحراجٍ للمرسل إليه، والذي يدعو إلى استعمال التعريض بكثرة في هذا الباب هو رغبة المرسل في الظَّفر بحاجته دون التأثير سلباً في نفوس الآخرين، ويكون استعمال التعريض مسْتحْسناً عندما يكون المرسِلُ واثقاً من أنَّ المرسل إليه سوف يفهم قصده[3].

يلتقي التعريض مع الدراسات التداولية الحديثة في كون الأوّل ومن خلال تعريفه هو إخفاء الشّيء وعدم التصريح به، وكذلك تقوم التداولية المعاصرة على مفاهيم عديدة كثيراً ما يتداولها الدَّارسون المعاصرون من بينها (متضمّنات القول، وهذا المفهوم هو

(1)ينظر:السابق، ص 422.

(2)الماوردي، أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كريم راجح ،دار إقرأ ، بيروت ، لبنان ، ط4 ،1405هـ -1985 م ، ص202.

(3)ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 424.

إجراءٌ تداولي يتعلق برصد مجموعة من الظَّواهر المتعلقة بأشياء ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامّة كسياق الحال وغيره[1].

ولقد أشار "فان دايك" ()Van diyk إلى ذلك قائلاً: «لقد لاحظنا مرات عديدة أنَّ لغة التخاطب الطّبيعي ليست صريحة، ذلك أنَّه توجد قضايا لا يقعُ التعبير عنها تعبيراً مباشراً، ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أخرى قد عبِّرُ عنها تعبيراً سليماً»[2].

يعدُّ أسلوب التعريض من الأساليب التي يُعبّرُ بها عن مثل هذه القضايا التي أشار إليها فان دايك، لأنَّ المرسِل يبْلغُ مراده وقصده بتعبيرٍ غير صريح ولا مباشر، وإنَّما يستنتج بواسطة قضايا أخرى كالقرائن والسياق والمقام.

إنَّ الكلام لا يعني دائماً التصريح، بل يعني أحياناً حمْل المستمع على التفكير في شيءٍ غير مصرَّحٍ به، وهو كلامٌ متضمنٌ في القول الصّريح [...] والمتحدّث عادة ما يتكلّم بالصَّريح من أجل تمرير المُضْمرِ، وهكذا فالمُضمرُ يلعبُ دوراً أساسياً في المحادثة، والتداولية تولي اهتماماً كبيراً للاستراتيجية غير المباشرة للمتكلم، كما تولي نفس الاهتمام لتأويل الملفوظات من قبل المُستمع»[3].

إنَّ التداولية تلتقي مع التعريض في جوانب متعدِّدة وكثيرة يطول المقام للتفصيل فيها، ولقد ذكرنا البعض من حلقات الوصل ونقاط التلاقي بين التعريض باعتباره أسلوباً بلاغياً قديماً تناوله العرب استعمالاً في كلامهم، وبين التداولية باعتبارها تياراً لسانياً غربياً حديثاً.

---

(1) ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2012م، ص 63.

(2)فان دايك، النّص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا للنشر، بيروت، لبنان، 2000م، ص 156.

(3) قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،إربد ، الأردن ،ط1 ، 2012م ، ص 64.

الفصل الثاني

مقاربة تداولية لأسلوب التعريض من خلال نماذج شعرية.

1- نماذج من شعر الهجاء والمدح.

2- نماذج لأغراض متنوعة.

إن الرؤى المتعددة للتداولية ، جعلتها تكتسي عدة تعريفات تتحدد حسب اهتمام الباحث ؛ فقد يكون اهتمام الباحث منصبا على دراسة المعنى في سياقه التواصلي ، أومعنى المرسل في كيفية قدرته على إفهام المرسل اليه بدرجة تتجاوز معنى ماقاله [1] وهذا هو الذي ذهب اليه جورج يول بقوله " التداولية هي دراسة كيفية ايصال اكثر مما يقال " [2]

وقد ينطلق في تعريفها من اهتمام الباحث بتحديد مراجع الألفاظ واثرها في الخطاب ومنها الاشاريات اضافة الى دور طرفي الخطاب في تكوين الخطاب وتحديد معناه وقوته الإنجازية .

كما يمكن الرجوع في تعريفها الى وجهة نظر المرسل ، بأنها كيفية ادراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند انتاج الخطاب ، بما في ذلك استخدام مختلف الجوانب اللغوية في ضوء العناصر السياقية بما يكفل له ضمان التوفيق من قبل المرسل اليه عند تأويل مقصده ، وتحقيق هدفه [3]

ومن المنطلقات السابقة يتبين أن التداولية في مفهومها العام هي دراسة التواصل اللغوي في ضوء السياق وماله من دور في بنية الخطاب ، ومرجع رموزه اللغوية ومعناه ، بناءا على قصد المرسل [4]

(1)ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 22.

(2) جورج يول ، التداولية ، ص 19 .

(3)ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص22.

(4) ينظر: السابق ، ص 22 .

يتكون التواصل من جملة عناصر تجتمع وتتآلف على شكل علاقات وظيفية كعلاقة المرسل والمتلقي بالبنيتين المسندتين اليهما وهما البنية الانتاجية والتأويلية ، اللتان تعدان الركيزتين الاساسيتين في العملية التواصلية ، الى جانب عناصر اخرى لا تقل اهمية .

وعملية التواصل الانساني تخضع لآليات لا ينفصل بعضها عن بعض وهي آلية الانتاج،وآلية التبليغ، وآلية التلقي والذي يهم هو آلية الإنتاج التي يعتمد فيها المرسل المخاطب على أدوات يستطيع بواسطتها توصيل مالا يريد الافصاح عنه الى المرسل اليه (المتلقي) ، وتشير آلية التلقي التي لا تقل اهمية عن آلية الانتاج الى آثار عملية التواصل من حيث الرسالة المبلغة اليه [1]

والذي يقصده المتكلم ولا يصرح به ، ويفهمه المتلقي من خلال السياق والقرائن هو ما يسمى بمتضمنات القول ، التي تنتقل في الدلالة من مستواها التصريحي الى المستوى التضميني[2]

والتعريض من الاساليب التي ينطبق عليها ما ذكرناه من كون المتكلم يتلفظ بشيء وهو يريد شيء آخر غير الذي تحمله دلالات الألفاظ الظاهرة،أي أن المتلقي يفهم قصد المتكلم من السياق والقرائن الاخرى الدالة على انتقال المعنى من البنية السطحية الى البنية التعريضية الخفية التي يريدها المرسل .

وفي هذه المقاربة التداولية نحاول التطرق إلى بعض الجوانب التداولية التي تتعلق بأسلوب التعريض في الشعر العربي من خلال نماذج شعرية مختلفة الأغراض كالتعريض بالهجاء والتعريض بالمدح والتعريض بالحاجة وغيرها مما ورد فيه التعريض .

(1) ينظر : ذهبية حمو الحاج ، التداولية واستراتيجية التواصل ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2015 ، ص 33.

(2) ينظر : نفسه ، ص 32 .

وهذه النماذج التي حاولنا مقاربتها تداولياعلى سبيل المثال لا الحصر ، فمدونة الشعر العربي أوسع من أن نلم بما ورد في دواوين شعرائها من أبيات تختص بهذا الاسلوب.

1-نماذج من شعر الهجاء والمدح :

ورد أسلوب التعريض في أغراض مختلفة من الشعر العربي كالهجاء والمدح ، وكذلك التعريض بالحاجة وغيرها من الأغراض ، إلا أن استعماله بكثرة كان في الهجاء الذي ظاهره المدح .

ومن أبرز الشعراء الذين تناولوا هذا الأسلوب في شعرهم أبو الطيب المتنبي الذي استعمله معرضا بكافور في كثير من قصائده التي جاءت في قالب المدح ، دون أن يغفل تعريضه بسيف الدولة في ثنايا بعض الابيات من هاته القصائد .

ونريد في هذه المقاربة أن نبين دور بعض العناصر التداولية في فهم بعض المعاني التي تحملها هذه الابيات التعريضية ، كالسياق والاستلزام الحواري وغيرها مما له علاقة بالعملية التواصلية بين المتكلم والسامع والخطاب بما يحمله من دلالات ظاهرة وخفية .

ان أول قصيدة مدح بها المتنبي كافورا كان مطلعها[1]

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

تَمَنَّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا

إن عناصر الخطاب في قصيدة المتنبي التي أخذنا منها هذين البيتين تتكون من المرسل (المتنبي) والمرسل اليه (كافور) والخطاب أو المقول (قصيدة مدح) كما يوحي بذلك سياقها اللغوي العام .

(1) ناصيف اليازجي ، العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2005 ، 294/2 .

والمتمعن في البيتين اللذين يشكلان مطلع هذه القصيدة يجد أن المتنبي كان في حالة من اليأس تملأ نفسه وتجدد أحزانه ، وتبعث ما في قلبه من ألم وحزن .

ان القصائد المدحية عادة ما تفتتح بمطالع غزلية أو أبيات تحمل معاني اللياقة والمجاملة كتمهيد لما يأتي بعدها من ذكر محاسن الممدوح وخصاله ، وهذا ما تفتقر اليه هذه القصيدة ، والذي يدعو الى الشك في معاني التي خاطب بها المتنبي كافورا تمثل أول لقاء بين المادح والممدوح ، فلا يليق أن تبتدأ بهذا الأسى والألم والحزن وذكر الأدواء والمنايا وحالة اليأس المتجدد .

ولأن السياق اللغوي العام الذي يحمل غرض المدح لا يكفي للدلالة على سيرورة هذه القصيدة في منحاها المدحي ، بل لا بد من النظر الى السياقات الاخرى والقرائن التي ذكرنا منها عدم انسجام مطلعها مع غرضها المدحي .

ونقصد بالسياقات الاخرى السياقات الخارجية عن النص ولغته ، التي أولت لها الدراسات التداولية الحديثة كما الدرس العربي القديم اهتماما كبيرا .

ومن هذه السياقات السياق المقامي والسياق الاجتماعي والسياق الزماني والمكاني ، وكذلك السياق العاطفي[1] .

ان السياق الخارجي بإفرازاته المتنوعة كفيل بتحويل المعنى الظاهر للأبيات من مدلولات سطحية يوحي بها ظاهر اللفظ ، الى دلالات تعريضية خفية تنتقل بالأبيات الى غرض الهجاء في أسلوب خفي غير مصرح به .

(1) ينظر : عيد بلبع، التداولية ، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات الى النقد الادبي والبلاغة ، ص 210.

فسياق المقام الذي أُنتجت فيه هذه القصيدة لم يكن الشاعر فيه مختارا المدح كافور، بل اضطر اليه اضطرارا وهو يعلم أنه لايستحق المدح ولكن الظرف والحاجة أوصلته الى هذه الذلة التي اشار اليها في الابيات التي بعدها والتي قال فيها [1]:

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدَنَّ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا

وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَا حَلِغَارَة وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا

فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى وَلَا تُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا

ان السياقات الزمانية والمكانية والعاطفية تلعب دورا مهما في صناعة المعنى الذي يروم الشاعر ايصاله .

فالمتنبي قبل انتقاله الى مصر ، كانت اقامته في حلب في ظل سيف الدولة ، وكانت تربطه بهذا الامير علاقة الصداقة والمحبة ، وكان من القرابة منه بمكان،ثم حدثت أمور جعلته يقصد كافوراً الاخشيدي مضطرا مكرها ، فأحس بذل الغربة وفقد الصحبة ، وتولدت لديه هذه المعاني المفعمة باليأس والأسى والألم ، مما جعله يتمنى الموت ، وتصبح المنايا لديه أمنية وشفاءا لما يعانيه .

هذا ما تحمله الألفاظ في ظاهرها ؛ أما ما تحمله السياقات والقرائن فيوحي بأن المتنبي لم يكن يطيق النظر الى كافور ، فضلا عن مدحه واطرائه .

ويتبين من خلال ذلك أن مدحه يحمل في ثناياه هجاءا مبطنا، فالذي يبدو : «أن الداء الحقيقي الذي كان يشكو منه المتنبي والذي يكون الموت من أجله أمنية ومخلِّصا يتمثل في كافور نفسه أو في اضطرار المتنبي للمثول بين يديه ومدحه قسرا عندما أحوجته الأيام إليه ، ومع القسر يكون الضيق الذي تجلى في البيت الأول بوضوح»[2]

(1) ناصيف اليازجي ، العرف الطيب في الشرح ديوان ابي الطيب ، 295/2 .

(2)ابراهيم صالحي ، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية ، دراسة في الاسلوب والدلالة ، ص 87 .

فالبيتان يحملان دلالة تعريضيةبكافور ، وهذا ماصرح به المتنبي في مقام آخر في قصيدة بنفس الروي والوزن ، وكأنها تبدو امتدادا طبيعيا للأولى قال فيها [1]

وَلَوْلَا فُضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِه لَكَ هَاجِيَا

فَأَصْبَحْتُ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ وَإِنْ كَانَ بِالإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيًا

فقد أشار الشاعر إلى فضول الناس الذين يخشى أن يكتشفوا صريح هجائه ، والذي لا يخشى فيه كافورا لبلادته وغبائه ، فكافور يعتقد أنه ثناء ومدح ويسرّلسماعه،هذاماجعلالشاعر يعمد الى " الهجاء السري " ، الذي يعد تسمية ثانية للتعريض [2].

واستعمل المخاطب اسلوب توجيه الخطاب الى الذات وكأنها شخص اخر في البيت الأول والثاني باستعماله كاف المخاطب " كفى بك داء" مما يحمل دلالة تعريضية خفية خاصة وان المرسل اليه امامه ويخاطبه مشافهة، فاستعمال هذا الاسلوب الاستهلالي في القصائد العربية كان متداولا ، هو قد يحدث أثرا سيئا في نفسية المتلقي إذا واجهه المتكلم بهذه الكاف التي يشير بها اليه ، حتى وان كان المتلكم يخاطب بها ذاته كما حدث مع جرير لما افتتح قصيدته المدحية في عبد الملك بن مروان ، وقد كان الخليفة خبيرا بفنون الاساليب الشعرية ويعلم ان الشاعر يقصد مخاطبته لنفسه وذاته في مطلع قصيدته التي قال فيها [3]:

أَتَصْحُوا؟ أَمْ فُؤادُكَ غَيْرُ صَاحِ عَشِيَةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَاحِ

(1)ناصيف اليازجي ، العرف الطيب شرح ديوان ابي الطيب ، ص 389 .

(2)ينظر : ابراهيم صالحي ، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية ، دراسة في الاسلوب والدلالة ، ص 92 .

(3)جرير : الديوان ، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط4 ،2009 م، ص 73 .

فقال له عبد الملك : بل فؤادك يابن الفاعلة ، ثم استمر ينشد حتى بلغ قوله [1]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

ورغم عدم قصدية جرير في توجيه الخطاب للخليفة الذي كان حاضرا يسمع، إلا أن الاخير لم يستسغ هذا الاسلوب الذي يبدو كأنه موجه اليه.

وبالنظر الى العلاقة السيئة التي تربط المتنبي بكافور ، ودهاء المتنبي في استعماله الاساليب ، تبدو الدلالة في الكاف متوجهة في المسار الهجائي التعريضي أي كفى بكافور داء.

ونجد المتنبي في أبيات من قصيدة أخرى يعرِّض بسيف الدولة قائلا :[2]

أَوَدُّ مِنَ الأَيَامِ مَالَا تَوَدُّهُ وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهِي جُنْدُهُ

يُبَاعِدْنَ حِبًا يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ فَكَيْفَ بِحِبٍّ يَجْتَمِعْنَ وَصَدُّهُ

أَبَى خُلُقُ الدُنْيَا حَبِيْبًا تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مَنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ

تبدو الأبيات في ظاهرها تحمل شكوى الشاعر من الأيام التي من عادتها كما يرى انها لا تريد مراده ، وتسير في عكس مبتغاه ؛ فهي تباعد بين المتواصلين ولا تديم مودة حبيب ، فكيف يرجى منها أن ترد حبيبا مفقودا .

ومن الملاحظ أن بعض البنى اللفظية التي أوردها الشاعر في أبياته ، وما تحمله من دلالات ومعان تفسح المجال للمتلقي أن يستعين بواسطة السياقات الأخرى والقرائن المتوفرة لفهم الدلالات المضمرة التي لم يصرح بها المرسل في خطابه .

وبالنظر الى سياق الحال ، وسياق المقام ، والسياق العاطفي ، والسياق الاجتماعي ، وكذلك المكاني حيث قال الشاعر هذه الأبيات المليئة بالألم من فقدان الحب والأحباب والحسرة على فراقهم وبعدهم ، هذه السياقات تدعو الى قراءة جديدة

---

[1] جرير : الديوان ، ص 74 .

[2] ناصيف اليازجي ، العرف الطيب شرح ديوان ابي الطيب ، ص 313- 314 .

وفق هذه الآليات التداولية التي تبحث في متضمنات الأقوال وما تحمله من معان ودلالات غير ماهو ظاهر في بنيتها السطحية من خلال الألفاظ ."

" إن البحث التداولي يقوم على دراسة اربعة جوانب هي الاشارة deixs والافتراض السابق presuppostion والاستلزام الحواري conversationalimpiatureو الأفعال الكلامية speech "[1]

والافتراض المسبق يعني : « ان المتكلمين يفترضون ان مستمعيهم عارفون ببعض المعلومات ، لا تذكر هذه المعلومات كونها تعامل على انها معروفة ولذا فإنها تعتبر جزءا مما يتم ايصاله دون قوله»[2]فالمتلقي تتكون له خلفية معرفية لما سبق بناء على المقول الذي تلفظ به المتكلم والافتراض المسبق يوصله المتكلم دون النطق به ، وانما يفهمه السامع (المتلقي) ويصل اليه من خلال الملفوظ الذي يشير اليه .

ومن خلال عنصر الافتراض المسبق يتبين لنا ان لفظة " بيننا" التي تعني افتراقنا وابتعادنا .

تشير الى اجتماع وائتلاف كان قبلذلك،جاء بعده هذا البين وكلمتا" يباعده" و "حِبًّا" ، يفهم منهما المتلقي ان حبيبا له كان قريبا فرقت الايام بينهما ، فانتقل من حال الوصال الى الصد ، وذكر المرسل أو الشاعر أن الدنيا ليس من دأبها دوام الصلة والود بين المحبوبين ، فكيف يرجى منها رد حبيب مفقود بعد انصرام حبال وده .

ومن خلال هذه الافتراضات المسبقة المستوحاة في فهمها ودلالتها مما قاله المرسل تخلص الى دلالة جديدة وهي الدلالة التعريضية التي لم يصرح بها المتنبي

(1)محمود احمد نحلة،افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعية، القاهرة ، مصر، 2006 ، ص 15 .
(2) جورج يول ، التداولية ، ترجمة : قصي العتابي ، ص 51 .

وهي تعريضه بحبيبه سيف الدولة الذي آلمه فراقه والبعد عنه ، فجاءت مضامين خطابه مليئة بالأسى واليأس والشوق .

هذا المعنى التعريضي يفهم من السياقات التي ذكرناها الى جانب الافتراضات وكلها من آليات المقاربة التداولية .

ويتجلي التعريض في بيت عرض فيه عمرو بن معدي كرب بقومه الذين لم يبلو بلاء حسنا في الحرب فقال :

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقَتُ وَلَكِنَّ الرِمَاحَ أَجَرَّتِ

وبالنظر الى الدراسات التداولية الحديثة نجد ان الفعل الكلامي اصبح يشكل نواة مركزية في الكثير من الأعمال والمقاربات التداولية وفحواه أنه : " كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي ، إنجازي تأثيري "[1]

فالفعل الكلامي له غايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي جراء هذا الفعل، فهو يهدف الى التأثير الاجتماعي أو السياسي في المخاطب .

وقد قسم اوستين (austin) الفعل الكلامي الكامل ، الى ثلاثة افعال فرعية [2]:

1-فعل القول (أو الفعل اللغوي)

2-الفعل المتضمن في القول(الإنجازي)

3-الفعل الناتج عن القول (التأثيري)

(1) مسعود صحراوي التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005م ، ص40.

(2) ينظر : نفسه ، ص 41-42 .

ان البيت السابق يتكون من مستويات ثلاثة هي المستويات اللسانية المعروفة (المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي) وأطلق عليها اوستين مسمى الافعال أي (الفعل الصوتي ، الفعل التركيبي الفعل الدلالي) هذه الافعال مجتمعة تشكل (فعل القول).

يتحدد المستوى الدلالي أو الفعل الدلالي من خلال السياق والقرائن والسياق هاهنا سياق تقريع وذم؛ فالشاعر لم يمدح قومه ولم يفتخر بهم لأنهم لم يبلو بلاءا حسنا في الحرب ،فلفظة " الرماح " التي اخرست وما أنطقت تدل أنهم لم يحسنوا الطعن في الحرب .

أما الفعلالمتضمن في القول (الفعل الانجازي)فيمثله قوله : " نطقت" و" اجرَّت" أي شقَّت لساني وأخرسته عن المدح ، والواضح من البيت أن المرسل (المخاطب) عدل عن الفعل الانجازي الأول " النطق " الى الفعل الانجازي الثاني " أجرَّت " أي أخرست .

وعن هذا العدول عن الفعل الانجازي يقول فانديك : " وهذه الأنماط من الفعل الموضوع يوجد لها أيضا مكافئ (عدمي) ، فقد تحدث ملابسات يعد فيها عدم انجاز الأفعال كما لو كان ايقاعا لها ، وهو التوقف والترك " [1]

ان ما أشار اليه فان دايك بوجود المكافئ " العدمي " للفعل الانجازي في حال العدول عنه ، هو ما ينطبق على الشاعر الذي عدل عن فعل " النطق " الى عدمه وهو " الخرس" وذلك لأسباب ذكرناها من كون قومه لم يكونوا في مستوى الطعن بالرماح والاقدام واحراز النصر على الاعداء حتى يستحقوا نطقه بمدحهم .

(1) فان ديك ، النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة ، عبد القادر قنيني ، افريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، 2000م ، ص 245 .

يقول فان دايك مشيرا إلى قصدية ترك الفعل والعدول عنه الى مكافئه العدمي : " فقد أفعل شيئا آخر بدلا عن الفعل المتوقع ، ولا تتبني ضروب الترك عن عدم وجود قصد المخصوص ، بل على وجود قصد ترك تنجيزه أو على وجود قصد خاص ، ويكون كل تغيير في هذا المقام متضمنا في الفعل ، أعني تغييرا حاصلا في المجرى المعتاد للفعل "[1]

وتصريح المخاطب (الشاعر) بهذا الترك للنطق بمدح قومه يتضمن دلالة تعريضية بتقريعهم وذمهم وهجوهم بطريقة غير مصرح بها وهي أبلغ في ايذائهم وايلامهم وحثهم على الاقدام والطعن .

يتبين من جملة التعريفات التي مرت بنا في الفصل الأول أنّ من معاني التعريض :

عدم التصريح بالشيء وكما يكون في الهجاء يكون في المدح وفي أغراض أخرى .

ومن التعريض بالمدح نذكر آبيات من قصيدة مدحية ارتجلها الفرزدق في مدح علي بن الحسين بن علي بنابي طالب الملقب بزين العابدين .

ويتبين أن السياقالمكاني من خلال مناسبة هذا الشعر هو مكة الكرمة عند الحرم مقابل الكعبة ، أما السياق الزماني فقد قيلت أيام خلافة عبد الملك بن مروان وهذا ما يفهم من كتب الرواية .

ومناسبة هذه الأبيات [2]أن هشام بن عبد الملك حج البيت أيام خلافة والده ، فلم يستطع الوصول الى الحجر الأسود في الكعبة لشدة الازدحام ، فنصب له مجلس راح يرقب منه الحجاجبانتظار أن يخف الزحام ، وأثناء ذلك أفسح الطريق أمام علي زين العابدين ،

(1) فان دايك ، النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ص 246 .

(2)ينظر : يحي الشامي ، اروع ما قيل في المدح ، دار العزة والكرامة ، للكتاب ، وهران، الجزائر ، ط1 ، 1435ه/2014م، ص43 .

إجلالا ومهابة له ، فتجاهل هشام هذا السيد الجليل وسأل : من هذا ؟ وكان الفرزدق حاضرا فأدرك قصده ، فارتجل الأبيات المدحية الرائعة التي نذكر منها الأبيات الأربعة الأولى التي تشكل مطلع القصيدة ، قال الفرزدق [1]

هَذَا الذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ وَالبَيْتُيَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمُ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هَذَا ابْنُ فَاطِمَةإِنْ كنْتَ جَاهِلَهُبِجَدِّهِأَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا

وَلَيْسَ قَوْلُكَ : مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ

يريد الشاعر أن يقول لمن تجاهل قدر هذا الكريم ابن الكرام سليل بيت النبوة أنَّ علي بن الحسين ليس نكرة من النكرات ، فهو أشهر من نار على علم، فبطحاء مكة والبيت العتيق وحلها وحرمها كلها تعرفه، فهو من نسل فاطمة بنت رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ، وهو الذي يتميز بالطهر والتقى ،والنقاء والصفاء.

ويوجه الفرزدق خطابه الى هشام بن عبد الملك مبينا له أن تجاهله لهذا الكريم لا ينقص من منزلته ولا يضره ، وهذا ما جاء في البيت الرابع حيث قال فيه[2]:

وَلَيْسَ قَوْلُكَ : مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْأَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ

(1)الفرزدق ، الديوان ، شرح علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1407هـ-1987 م ، ص 511 .
(2)نفسه ، ص 512.

يتبين من خلال مناسبة هذه الأبيات أن هشام ابن عبد الملك بسؤاله من هذا؟كان يريد تجاهل مقام زين العابدين الذي فسح له الطريق الى الحجر الأسود احتراما له واجلالا وهو الذي أهلته لذلك أخلاقه ومناقبه الحسان وكرم منبته ونسبه ، حيث أنَّ هذا الاحترام والاجلال لم يحظ به ابن الخليفة وهومن هو في منزلته وعليائه .

ويبدو أن الفرزدق فهم المغزى من سؤال هشام الذي قصد به تجاهل هذا الكريم ابن الكرام ، فبدأأبياته بنفس اللفظة الاشارية التجاهلية التي استخدمها ابن الخليفة في قوله : من " هذا " ؟ فقال الفرزدق " هذا الذي " وبدأ يعدد مناقبه وخصاله وكرم نسبه .

لقد اهتمت الدراسات التداولية بما يسمى بالاشاريات وقسمتها إلى اشاريات شخصية وأخرى زمانية وثالثة مكانية وكذلك الاشاريات الاجتماعية والخطابية أو النصية [1]

ومن منطلق الاشاريات الاجتماعية يبدو أن الفرزدق ومن خلال أبياته اراد أن يجيب عن تجاهل هشام ابن عبد الملك الذي أراد بسؤاله الانتقاصمن مكانة زين العابدين ، فكانت اشارات الفرزدق لخصال هذا الرجل الكريم باستعماله للفظة " هذا" الاشارية ، وكررها على مدار الأبيات مرات عديدة مرتبطة باشاريات اجتماعية تدل على مكانة الرجل الممدوح .

فقول المرسل " هذا الذي تعرف البطحاء وطأته " اجابة عن تجاهل هشام أي أنه كنارٍ على علم ، ثم قوله هذا ابن خير عباد الله كلهم " اشارة على كرم نسبه وقرابته من رسول الله " صلى الله عليه وسلم " ثم وصفه بالنقاء والتقى " هذا التقي

(1)ينظر : محمود احمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 17 .

النقي " ووصفه بالكرم في قوله : " الى مكارم هذا ينتهي الكرم " ثم نسبته الى فاطمة بنت النبي " صلى الله عليه وسلم " : " هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله "

ويمكن أن ننظر الى الخطاب من زاوية أخرى تتعلق بالاستلزام التخاطبي أو الحواري الذي ركز عليه قرايس، وجعل من مبادئه : " مبدأ التعاون " الذي يكون بين المتكلم والمخاطب ، وهو مبدا حواري عاميشتمل على أربعة مبادئ فرعية هي[1]:

1-مبدأ الكم quantity

وذلك بأن تسهم في الحوار بقدر لا زيادة فيه ولا نقصان .

2-مبدأ الكيف quality

وذلك بألَّا تقول ما تعتقد عدم صحته ، ولا تقل ما ليس لك دليل عليه.

3-مبدأ المناسبة relevance :

أن يكون كلامك له علاقة مناسبة بالموضوع .

4-مبدأ الطريقة manner :

يجب أن تكون واضحا ، وتتجنب الغموض واللبس ، وتحرَّ الايجاز وترتيب الكلام .

لقد كان بإمكان المخاطب (الشاعر) لما سمع تجاهل هشام بن عبد الملك بسؤاله : من هذا ؟ أن يجيبه على قدر السؤال بقوله : " هذا علي بن الحسين " ، هذا لو علم ان السؤال لا يحمل معنى التجاهل والاحتقار .

ان الفرزدق خرق قاعدة من قواعد التعاون وهي مبدأ الكم فقد أجاب وأطنب في الجواب وهذا مما يستلزمه الخطاب في هذا المقام ، فأجابهذه

(1)ينظر :السابق ، ص 34.

الابيات التعريضية التي لم يصرح فيها بذكر ممدوحه ولكنه عرف بشمائله وخصاله وكرم نسبه في هذه الأبيات في ميميَّته الرائعة.

2-نماذج مختلفة الأغراض :

ومن صور التّعريض ما أورده المبّرد في كتابه « الكامل في اللغة والأدب »[1]، عن مساجلة شعرية جرت بين رجلين ، أحدهما يسمى عبد الله كان أديبا صالحا صاحب فقه ، والآخر يلقب بابن عائشة ، وقال هذا الأخير : عتبت على عبدالله مرّة في شيء ، قال : فلقيني عند باب المسجد يريد مجلس الحُكم ، وأنا أخرج فقلت مُعرّضا به :

طَمِعْتَ بِلَيْلَى أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

فأنشد معرّضا تاركا ما قصدته له :

وَبَايَنْتُ لَيْلَي فِي خَلاَءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودُ عَلَى لَيْلَي عُدُولٌ مَقَانِعُ

يستبين من ظاهر البيتين أنهما يتحدثان عن امرأة اسمها ليلى ، في البيت الأول يبدو أنها مطموع فيها ميئوس منها ، والبيت الآخر يفهم منه أن ليلى متمكن منها متعفف عنها ، هذا مايحمله المعنى الظاهر للبيتين ؛ إلاَّ أن المراد بليلى من خلال قصد المتكلمين وهما يتبادلان الكلام هو أبعد من المعنى الظاهر .

فالأول قصد أمرا وعرض به ولم يصرح ورمز له بليلى المطموع فيها والتي دونها قطع الرّقاب ، والثاني فهم مراد وقصد الأول وعرّض كذلك ولم يصرّح ورمز لهذا الأمر بليلى وأخبر صاحبه بأنَّه متمكن منه متعفف عنه .

(1)ينظر : المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ص 303-304.

والناظر في تداولية الخطاب يرى أن الحجاج من الركائز الأساسية لكونه يهدف إلى الإقناع والتأثير في السامع أو المتلقي بواسطة الحجج ومدى قوتها وفاعليتها ، ومن هنا تتبين أهمية الإقناع بوصفه هدفا واستراتيجة في نفس الوقت ، يستعمل فيه المخاطب آليات كثيرة وأدوات لغوية وغير لغوية فهو من السبل التي يسلكها المرسل لبلوغ هدفه [1].

وللإقناع آليتان ، تتمثل إحداهما في العلامات غير اللغوية ، سواءًأكانت مصاحبة للتلفظ أم لا ، كالأدلة المادية على وقوع الجريمة ، أو التّنغيم والإشارات الجسدية وبعض الهيئات التي تصاحب التلفظ ، وتتمثل الآلية الثانية في ممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني، ويتجسد ذلك باستعمال اللغة الطبيعية بوصفها العلامة الرئيسية.

ويعد سلوك المرسل من الآليات التي تسهم في إقناع المرسل إليه ، إذا كان واثقا بصدق المرسل ، ونفيه الكذب عنه أو التحايل ، فإنه يتخذ من سلوكه دليلا على صدق دعواه وقوة حجاجه .

أما سلوك المرسل إليه فينعكس على المرسل في بناء خطابه الإقناعي ؛ إذ يراعي ظروفه وأحواله ، ويستحضر معرفته وقدراته ، كما لا ينسى ما يحيط به من أحداث اجتماعية وأحوال نفسية ، فقد ينتج المرسل خطابا انطلاقا من سلوك المرسل إليه [2].

ويعرِّف طه عبد الرحمن الحجاج بأنه : « كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الإعتراض عليها»[3]

(1) ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجات الخطاب ، ص 454.

(2) ينظر : نفسه ، ص455.

(3) طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، (نقلاعن) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ص 456.

وانطلاقا من التعريف وغيره نرى أن ابن عائشة لما أراد إقناع صاحبه عبدالله في العدول عن حاجته التي يطمع فيها كما ادعى ابن عائشة ورمز لها بليلى ، وليلى رمز لكل شيء محبوب مرغوب يشتهى وصاله ، وقد قيل في التمثيل بهذا الرمز :

وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصْلًا بِلَيْلَى وَلَيْلَى لَا تُقِرُّ لَهُمْبِذَاكَا

والذي يتبين أن ابن عائشة أراد إقناع عبد الله بعدم جدوى الطمع في نيل مراده ، وأنَّ هذا الأمر « صعب المنال »، وهذه هي حجته في التي استعملها وأشار اليها بقوله « تقطع أعناق الرجال المطامع ».

والمرسل إليه « عبد الله»كان يفهم قصد المرسل وغرضه ، وما يرمي إليه ، فتحول الخطاب من المرسل إليه إلى المرسل في قالب حجاجي ، إقناعي ، أراد من خلاله المرسل إليه أن يفهم المرسل أن ما أراد اقناعه بالعدول عنه لأنه صعب المنال هو أمر قد تمكن منه ورغب عنه ، وهو ماعبر عنه بقوله « وباينت ليلى في خلاء » يعني أنني تمكنت منها وتركتها رغبة عنها .

فاستعمال أسلوب التعريض جاء في كلام الرجلين من خلال عدم تصريحها بالحاجة التي يفهمانها وعدلا عن ذكرها ورمزا لها بليلى المطلوبة المرغوبة ، وليلى المتمكن منها والمتروكة.

والتعريض من الأساليب التي يلجا إليها أصحاب حاجات في تحقيق حاجاتهم ومراداتهم إذا كان المخاطب أو المرسل إليه ذا فطنة ونباهة يفهم المقاصد.

لقد حكي أن عبيد الله بن سليمان لما تقلد وزارة المعتضد ، كتب إليه عبيدالله بن عبدالله بن طاهر :

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي نُفُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ

فَقُلْتُ لَهُ نُعْمَاكَ فِيهِمْ أَتِمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنَّ الْمُهِمَّ مُقَدَّمُ

فقال عبيد الله :« ما أحسن ما شكا أمره بين أضعاف مدحه ! وقضى حاجته »[1]

ففي هذا الخطاب استعمل المرسل استراتيجية تلميحية تتمثل في التعريض بالحاجة وضمَّنها في ثنايا مدحه دون التصريح ، وذلك احتراما لمبدأ العلاقة بينه وبين المرسل إليه وعدم إحراجه بطلب الحاجة صراحة ، وكذلك حفاظا على عدم إهدار ماء وجه المرسل .

والمرسل في هذا الخطاب يدرك أن المرسل إليه قادر على فهم المقاصد والغايات ، وكان الأمر كذلك ووصلت الرسالة بأسلوب ترك أثره البالغ في نفس المرسل إليه مما يحثه على العطاء وقضاء حاجة المرسل التي بثها في ثنايا مدحه دون تصريح ، وأحدثت أثرا فاعلا وإيجابيا عبر عنه المرسل إليه واستحسنه بقوله :« ما أحسن ما شكا حاله بين أضعاف مدحه وقضى حاجته »[2]

ونستطيع أن ننظر إلى هذين البيتين من زاوية أخرى تتعلق أيضا بالدراسات التداولية لها علاقة بالمتكلم والسامع والخطاب ، وهي الأفعال الإنجازية وشروط الملاءمة التي وضعها أوستن وطوّرها سيرل وجعلها أربعة شروط هي :

1-شروط المحتوى القضوي .

2-الشرط التمهيدي .

3-شرط الإخلاص .

4-الشرط الأساسي .

(1)المارودي ، أدب الدنيا والدين ، ص 202 .

(2) ينظر : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 48.

وانطلاقا من هذه الشروط نجد أن البيتين تتوافر فيهما هذه العناصر التي ذكرها سيرل فالمحتوى القضوي ، وهو نسبة الكلام إلى قضية تقوم على متحدث عنه أو مرجع

ومتحدث به أو خبر ، والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية .

فالمحتوى القضوي هو التعريض بحاجة صاحب الأبيات وهي الشيء المتحدث عنه والذي لم يصرح به وفهمه المخاطب من خلال الخبر الذي يتمثل في مدح المرسل للمرسل إليه وهذا المدح يحمل أفعالا تدل على الالتماس والرجاء لقضاء الحاجة وبيان حالة الإعسار التي يشكو المرسل حالها.

إن قوله : « أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا » تحمل دلالة بيان الحال المعسرة،وقوله : « وأسعفنا فيمن نحب ونكرم » تحمل دلالة الرجاء والأمل فيمن أسعفه الدّهر بتولي أمر الوزارة ، فهو الحبيب الذي نكرمه ، ونتمنى زوال العسر بمواساته لنا .

فالشرط التمهيدي متحقق أيضا لأن سيرل وضع له شرطين [1]:

أ–المستمع يكون قادرا على أداء الفعل .

ب–ليس من الواضح لكل من المتكلم والسامع أن الفعل سوف ينجز في ظروف طبيعيه أم لا .

وهذا ما ينطبق على ما جاء في المحتوى القضوي لهذين البيتين .

الشرط الثالث الذي وضعه سيرل هو الإخلاص فالمتكلم يريد حقا أن يؤدي السامع الفعل ، أما الشرط الرابع وهو « الشرط الأساسي » كما بينه سيرل في كون المتكلم

[1]ينظر : السابق ، ص 49.

يحاول التأثير في السامع وحثه على إنجاز الفعل [1]ويتبين أن المتكلم في البيتين نجح في التأثير في المخاطب وحثه على إنجاز الفعل ، وظهر ذلك كما أسلفنا في قول المرسل إليه وتعقيبه ؛ هذا من جهة القول ، ومن جهة الفعل قضى المخاطب حاجة المرسل إليه بإسعافه وإصلاح حاله .

وتختلف الصور التي يرد فيها أسلوب التعريض باختلاف المقامات والأحوال والوقائع ومن الصور التي جاء فيها التعريض بديلا عن التصريح احتراما لمبدأ الأدب واللياقة، واحتراما لمبدأ العلاقة بين المرسل والمرسل إليه التي تدعو إلى عدم الإحراج بالتصريح وإيصاله المعنى المراد عن طريق التعريض ، هذه الواقعة أو القصة التي مفادها أن قوما كانوا في سفر ، فخالف رجل في بعض الليل إلى عكم صاحبه فأخذ منه برا وجعله في عكمه فلما أراد الرحلة قام يتعاكمان ، فرأى عكمه يشول (أي يخف) ، وعكم صاحبه يثقل ، فأنشأ يقول :

عِكْمٌ تَغَشَّى بَعْضَ أَعْكَامِ الْقَوْمِ لَمْ أَرَ عِكْمًا سَارِقًا قَبْلَ الْيَوْمِ

فخوَّن صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح [2]

فالمخاطب في هذه القصة كان يستطيع وبشكل مباشر أن يقول لصاحبه (المستمع) أنت الذي سرقت من زادي ووضعته في عكمك إلا أنه لم يرد إحراجه وفضحه بالقول الصريح ، فلجأ إلى التعريض إلى ما يحمله من اللباقة والأدب وتأثيره في المرسل إليه واقع إلا أنه أخف وألطف من التصريح .

(1) ينظر: السابق ، ص 49.

(2) ينظر : الثعالبي ، الكناية والتعريض ، ص 167.

فتحميل السرقة للعكم فيه إشارة إلى تخوين صاحبه الذي فهم المعنى والمغزى بأسلوب ألطف .

لقد أستخدم التعريض أسلوبا لطلب الحاجات واستنجازا للمطالب وتحقيقا لغايات ، حيث تأتي الحاجة في ثنايا الحديث غير المصرح بها وورد في هذا الباب بكثرة على ألسنة الشعراء لتحقيق المكاسب أو اعتلاء المناصب ، خاصة منهم من يتقربون بالمدح إلى الملوك والأمراء والوزراء ومن الطموحين الى السيادة والريادة الشاعر أبو الطيب المتنبي ، فقد ورد هذا اللون من التعريض (التعريض بالحاجة)في ثنايا مدائحه الكافورية .

وفي هذا المقام نذكر أبياتا عرض فيها المتنبي بحاجته ، وحاجة المتنبي هي السلطان والولاية حيث عبر بذلك في أكثر من قصيدة .

قال المتنبي : [1]

فَارْمِ بِمَا أَرَدْتَ مِنِّي فَإِنِّي أَسَدُ القَلْبِ آدَمِيُّ الرُّوَاءِ

وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ

إذا نظرنا إلى البيتين من منطلق الحجاج الذي يعد ركيزةً من ركائز التداولية ، لكونه يحدث التفاعل بين أطراف العملية التواصلية المتمثلة في المخاطَب والمخاطِب والخِطاب ، والهدف من الحجاج هو الإقناع والتأثير في المرسل إليه .

يطمح المرسل (المتنبي) من خلال البيتين إلى منصب أو التقلد الولاية « فعرَّض بحاجته في تخف هو أقرب إلى الظهور والإعلان ، فالقارئ لهذين البيتين يشعر أن فعل

(1) ناصيف اليازجي ، العرف الطيب ، بشرح ديوان أبي الطيب ، ص305 .

الأمر "ارم" يتجاوز في دلالته البلاغية الرجاء إلى الحث في استنجاز المطلوب »[1]

استخدم المتنبي لإقناع المخاطب وهو كافور بأهليتيه للمنصب والولاية أدلةً ذكر فيها بعض صفاته التي تصلح لهذا الأمر ، وأول هذه الحجج والأدلة التي أراد من خلالها التأثير في المرسل إليه هي قوله : « إني أسد القلب »« آدمي الرواء »؛ فالصفة الأولى المذكورة صفة باطنية تعبر عن صلابة الباطن ، والثانية « صفة ظاهرية ، وصلابة الباطن لا تقتضي إلا عضائم الأمور والسمو المسؤوليات وأبرزها الولاية واعتلاء المناصب وارتقاء سدة الحكم »[2]

وفي البيت الثاني يؤكد المتنبي قدراته على هذا الأمر ، ويبدو أقل تخفيا حيث يقترب إلى التصريح بمبتغاه ويواصل حجاجه وإقناعه لمخاطبه محاولا التأثير فيه لتحقيق مراده ، ويبين أن فؤاده فؤاد ملك حتى وإن لسانه "لسان شاعر".

إن الدلالة التي ترمي أليها عبارة " وفؤادي من الملوك "لا تحتمل إلا التعريض بطلب الولاية [3].

وقد ينظر إلى البيتين من جانب آخر من جوانب المقاربة التداولية وهو جانب الأفعال الايجازية أو الكلامية التي وضع لها اوستين وسيرل أسسا ومبادئ كما أشرنا إليه سابقا.

فالمحتوى القضوي للبيتين اللذين خاطب بهما الشاعر " المرسل " كافورا وهو المرسل اليه " هو طلب تقليده الولاية لم يصرح به ولكنه عرض به ، والشرط التمهيدي متوفر لأن المخاطب قادر على أداء الفعل المطلوب ولم يكن واضحا لدى المتكلم أو السامع أن الفعل سوف ينجز في ظروف طبيعية أم لا، والشرط الآخر من شروط الملائمة متحقق وهو شرط الاخلاص فالمتكلم يريد حقا من السامع تحقيق الفعل .

---

[1] ابراهيم صالحي، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية دراسة في الأسلوب والدلالة ، ص 132 .

[2] ينظر : نفسه ، ص 132.

[3] ينظر ، نفسه ، ص 133.

والشرط الرابع من شروط الملائمة متوفر هو الشرط الأساسي كما أسماه سيرل ويتبدى ذلك من محاولة حث السامع على أداء الفعل وتحقيق المراد .

والمتتبع لقصائد المتنبي المدحية في كافور يلمس أسلوب التعريض بالحاجة باديا إلى حد كبير في جملة من الأبيات وردت في ثنايا هذه القصائد ومن أبياته التي عرض فيها بطلبهللولاية . [1]

قَالُو هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْإِلَى غَيُوثِ يَدَيْهِ وَالشَآبِيبِ

إِلَى الذِي تَهَبُ الدَّوَلَاتُ رَاحَتُهُوَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبِ

وقوله كذلك [2]

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًا غَيْرَ مَحْبُوبِ

وقال في قصيدة أخرى[3]

وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ

ويتمثل التعريض بالحاجة بأبيات قالها محمد ابن مالك القرطبي في الأمير ابن صمادح يشكو فيها حاله وطول انتظاره بما يؤمِّله من الأمير من نيل ما يصلح به حاله من مناصب أو عطايا ويظهر في هذه الأبيات نفاد صبر الرجل وعزمه على الرحيل ومفارقة أحبابه الذين يرجو منهم معونته ومطلهم في ذلك .

---

[1]ناصيف اليازجي ، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ص 311 .

[2]نفسه ، ص 313 .

[3]نفسه ، ص 320 .

قال ابن مالك القرطبي[1]

أَإِخْوَانَنَا لَهْفًا عَلَيْكُمْ وَحَسْرَةً فَإِنَّا صَحِبْنَاكُمْ أَبَرَّ أَصَاحِبِ

عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مَنْ مُحِبٍّ يَوَدُّكُمْ فَقَدْ قَلِقَتْ نَحْوَ الْعِرَاقِ رَكَائِبِي

وَمَا هُوَ إِلَّا الْبَيْنُ قَدْ جَدَّ جَدُّهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ شَدِّ الْحَقَائِبِ

حَقَائِبَ قَدْ ضُمِّنَّ كُلَّ لَطِيفَةٍ وَإِنْ ظَفِرَتْ مِنْ مُنْفِسَاتِ الْمَوَاهِبِ

أَمُعْتَصِمًا بِاللَّهِ يَا خَيْرَ مَوْئِلٍ وَأَكْرَمَ مَأْمُولٍ وَأَفْضَلَ وَاهِبِ

مَضَى الْفِطْرُ وَالْأَضْحَى وَلَا نَيْلَ يُقْتَضَى فَلِمْ أَخْفَقَتْ وَحْدِي إِلَيْكَ مَطَالِبِي

وَكَمِ عِفْتُ قِدْمًا مِنْ جَزِيلِ مَوَاهِبٍ وَقَدْ خَطَبَتْنِي مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ

سَأَرْحَلُ عَنْكُمْ دُونَ زَادٍ لِبُلْغَةٍ وَتِلْكَ لَعَمْرِي سُبَّةٌ فِي الْعَوَاقِبِ

يبدو الشاعر في الأبيات الأولى التي تمثل السياق العاطفي الذي يعيشه والألم الذي يعانيه من خلال هذه المعاني بين المفارقات واللهفة والحسرة ، وبين محبتكم ومودتكم والعزم على فراقكم وشدّ الحقائب إيذانا ببيننا عنكم ورحيلنا عن دياركم .

إن الأفعال الإنجازية التي يحملها المحتوى القضوي لهذه الأبيات ، والدلالات التلميحية لها تبتعد عن مجال الاخباريات ، وإن كان الإخبار يفهم من ظاهرها ، إلا أن المرسل بذكره لهذه الأشياء التي ذكرها إنما يريد التأثير في المرسل إليه للقيام بفعل ، وهذا الأخير (المرسل إليه) قادر حسب معرفة المرسل على القيام به .

(1)ابن بسام ، الذخير في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق ، إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1395 هـ 1975 م ، ص740 .

يتبين أن هذه الأبيات تندرج في اطار التوجيهيات التي يضعها سيرل والغرض منها محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما ، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الارادة أو الرغبة الصادقة ، والمحتوى القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيئا في المستقبل [1]

ويدخل فيها الرجاء والاستعطاف والتشجيع وغيرها .

لقد استعمل أساليب متنوعة لبلوغ أهدافه من خلال التأثير في السامع ، وذلك بألفاظ تحمل معاني المحبة والمودة ، وينتقل منها الى التلويح في الفاظ تحمل معاني الفراق والبين والرحيل ان هذه الأساليب تستعطف المرسل اليه للقيام بأفعال تحافظ على هذه المحبة والود وتمنع نقيضه ، من الفراق والبين .

ونجد الشاعر في البيت الخامس يوجه ندائه الى المرسل اليه ذاكرا اسمه "امعتصما بالله " وهو يمدحه بالصفات الكرم والعطاء والنجدة ، ولا يخفى ما تحمله في ثناياها من تعريض بحالته التي يرجو لها هذا الأمير الذي يراه خير موئل وأكرم مأمول وأفضل واهب .

إن المرسل بذكره لهذه المحامد يستحث المرسل إليه ويدفعه دفعا إلى استنجاز ما يصب إليه المرسل من غير أن يضمن ذلك طلبا صريحا عندما لمح له من خلال هذه العبارات الاستعطافية التي تحمل معاني الرجاء والأمل .

وفي البيت السادس يستحث الشاعر مستمعه بطول انتظاره لساعة الفرج التي يأمل أن تكون قريبة يذكره بأن الزمان يمضي ولم تتحقق آماله فيقول :" مضى الفطر والأضحى ولا نيل يقتضى أي لم أنل شيئا وغيري نال ماطلب "

(1)ينظر : محمود أحمد نحلة ، آفاقا جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 79 .

ويتبين أن المخاطب استخدم أسلوبا آخر وذلك رغبة منه في التأثير في السامع ودفعه للقيام بالفعل الذي يريد ، فنجده يصرح بالرحيل اذا لم تتحقق مطالبه ومراداته ، ويشير أن هذا الرحيل بلا بلغة وزاد سيكون له أثره على سمعة وأخلاق مستمعه الذي يوصف بالكرم والسماحة ، أي أن الرحيل الشاعر بهذه الحال المزرية يعتبر سبة للأمير الذي لم يصلح من حاله وهو موئل كل قاصد ومحتاج .

هذه بعض الأبيات التعريضية التي توزعت بين غرضي الهجاء والمدح وأغراض أخرى متفرقة حاولنا أن نشير إلى بعض العناصر التداولية فيها والتي تتعلق بعناصر الخطاب (السامع والمتكلم والخطاب).

وآليات التفاعل بين هذه العناصر التي تحقق عملية التواصل وتسهم في انجاحها .

خاتمة

في نهاية هذا البحث نشير إلى جملة من الملاحظات التي توصلنا إليها، ويمكن أن نعتبرها نتائج لهذا الجهد المتواضع نلخِّصها فيما يلي:

1- اعتبر أكثر علماء البلاغة القدامى التعريض رديفًا للكناية يحملان نفس الدلالة دون تمييز بينهما.

2- استطاع بعض أعلام البلاغة وهم قلّة من أمثال ابن الأثير والزمخشري التمييز بين اسلوبي الكناية والتعريض بذكر بعض الفروق بينهما وهي كالتالي:

أ- التعريض أخفى من الكناية.

ب- دلالة الكناية لفظية وضعية ودلالة التعريض من جهة المفْهُوم.

ج-الكناية تشتمل اللفظين المفرد والمركب، أمّا التعريض فلا يختص إلا بالمركّب.

3- من خلال رصد آراء البلاغيين حول مفهوم التعريض وبالنظر إلى النماذج التعريضية التي وردت في الشعر العربي، يتبين أن هذا الأسلوب يقترن بدلالة القدح والذم ، و هذا لا يمنع اقترانه بدلالات أخرى كالمدح و طلب الحاجة و غيرها من الأغراض، إلا انه في الأغلب الأعم يرتبط بالهجاء و التقريع.

4-التعريض أبلغ تأثيرًا في النّفوس من التصريح و يسهم في إحداث آثار اجتماعية حميدة تحافظ على العلاقات الإنسانية، و تيسّر التعامل الخطابي.

5-تنوّع الأساليب التّعريضية في الشّعر العربي بحسب الأغراض والمقاصد مما يستدعي توظيف ما يناسبها من العناصر والآليات التداولية أثناء المقاربة.

6-قد تستخدم أكثر من آلية في المقاربة التداولية للنموذج التعريضي الواحد كاستخدام الاستلزام الحواري و الحجاج في آن واحد لمقاربة نموذج تعريضي.

قائمة المصادر

والمراجع

- **القرآن الكريم:** برواية حفص عن عاصم

- **ابن الأثير**(أبو الفتح ضياء الدين):

1. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق وتعليق أحمد الكوفي، وبدوي طبانة، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ت.

- **ابن الأحنف** (عباس)

2. الديوان ، شرح و تحقيق عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1373هـ-1954م .

- **البحيري** (أسامة):

3. البنية المتحولة في البلاغة العربية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر، 2009.

- **ابن بسام** (أبي الحسن علي الشنتريني):

4. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1395هـ-1975م.

- **بلبع** (عيد):

5. التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، بلنسية للنشر والتوزيع، المنوفية، مصر، ط1، 1430هـ-2009م.

- **بوجادي** (خليفة):

6. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط2، 2012م.

- **الثعالبي** (أبو منصور عبد الملك بن محمد):

7. الكناية والتعريض، تحقيق عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998م.

- **الجاحظ** (أبو عثمان عمر بن بحر):

8. البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دت.

- **الجرجاني** (عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد):

9. دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر، ومحمود شاكر، شركة القدس، ط3، 1413هـ-1992م.

- **جرير**:

10. الديوان، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط4، 2009م.

- **الجمحي** (محمد بن سلام):

11. طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، دت، ج1.

- **ابن جني** (أبو الفتح عثمان):

12. الخصائص، تحقيق الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ-2008م، ج1.

- **الحطيئة**:

13. ديوان الحطيئة، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ-2010م.

- **الخولي** (ابراهيم محمد عبد الله):

14. التعريض في القرآن الكريم، دار البصائر، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ-2004م.

- **دايك** (فان):

15. النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،2000م.

- **دلاس** (جيلالي):

16. مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ترجمة محمد بن يحياتي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992م.

- **ابن رشيق** (أبو علي الحسن القيرواني):

17. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.

- **الزمخشري** (أبو القاسم محمود بن عمر):

18. تفسير الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دت، ج1.

- **أبو زيد** (نواري سعودي):

19. في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م.

- **السكاكي** (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي):

20. مفتاح العلوم مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1356هـ-1937م.

- **الشهري** (عبد الهادي بن ظافر):

21. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

- **صالحي** (ابراهيم):

22. التعريض في مدائح المتنبي الكافورية، دراسة في الأسلوب والدلالة، مذكرة ماجستير (مخطوط) قسم الأدب العربي جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2008-2009م.

- **ابن طباطبا** (محمد بن أحمد العلوي):

23. عيار الشعر، شرح وتعليق عباس الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ-1982م.

- **العسكري** (أبو سعيد الحسن بن حسين):

24. ديوان كعب بن زهير.

- **العسكري** (أبو هلال):

25. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م.

- **العلوي** (يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم):

26. الطراز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1، 1423هـ-2002م.

- **عمران** (قدور):

27. البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، ط1، 2012.

- **الفراء** (أبي زكرياء يحي بن زياد عبد الله):

28. معاني القرآن، تقديم وتعليق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ-2002م.

- **الفراهيدي** (الخليل بن أحمد):

29. كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

- **الفيروزأبادي** (مجد الدين محمد بن يعقوب):

30. القاموس المحيط، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوقيفية، القاهرة مصر، دت، ج2.

- **ابن قتيبة** (أبي عبد الله بن مسلم):

31. تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ-2002م.

- **الماوردي** (أبو الحسن):

32. أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار إقرأ، بيروت، لبنان، ط4، 1405هـ-1985م.

- **المبرد** (أبو العباس محمد بن يزيد):

33. الكامل في اللغة والأدب، عني به الشيخ أحمد بن محمد كنعان، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

- **ابن وهب** (اسحاق):

34. البرهان في وجوه البيان، تحقيق حنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، دت.

- **يول** (جورج):

35. التداولية ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....(أ-ج)

الفصل الأول: التعريض وعلاقته بالدراسات التداولية.....(4-39)

1- مفهوم التعريض.....5

2- علاقة التعريض بالدراسات التداولية.....30

الفصل الثاني: مقاربة تداولية لأسلوب التعريض من خلال نماذج شعرية.....(40-66)

1- نماذج من شعر الهجاء والمدح.....43

2- نماذج لأغراض متنوعة.....55

خاتمة.....**68**

قائمة المصادر والمراجع.....**70**

الفهرس.....76

ملخص البحث:

تناولنا في هذا البحث المعنون بـ " التعريض في الشعر العربي مقاربة تداولية"، فصلين أساسيين مسبوقين بمقدمة. في الفصل الأوّل والذي يمثل الجانب النظري من البحث تحدّثنا عم مفهوم التعريض وذلك برصد آراء البلاغيين القدماء وتعريفاتهم لهذا الأسلوب. وكذلك علاقته بالدراسات التداولية الحديثة.

وفي الفصل الثاني الذي يمثل الجانب التطبيقي من البحث كان توظيف بعض آليات التداولية الحديثة على نماذج شعرية تعريضية في شكل مقاربة.

وفي خاتمة البحث خلصنا إلى بعض الملاحظات لخّصناها في شكل نتائج تتعلّق بما يميّز التعريض عن الكناية وكذلك إمكانية توظيف العناصر التداولية الحديثة لدراسة هذا الأسلوب في الشعر العربي.

Résumé

Notre recherche intitulée : «Le non-dit dans la poésie arabe, Approche pragmatique »

Se compose de deux parties principales précédées d’une introduction.

Dont la première est consacrée au côté théorique où on a présenté le concept du non-dit à travers les propos des anciens réthoriciens et leurs définitions de ce style, ainsi que son rapport avec les théories pragmatique contemporaines.

Dans la seconde partie représentant le côté pratique, nous avons essayé d’appliquer quelques techniques des pragmatiques contemporaines sur une sélection de poème utilisant le style du non-dit, sous forme d’une approche.

En conclusion, nous avons exposé les résultats auxquels on a aboutis sous forme de notes.